جمال البدري

اليهود وألف ليلة وليلة

دراسة تحليلية نقدية مقارنة
من الأعماق إلى الآفاق

القاهرة
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

اليهود
وألف ليلة وليلة

المؤلف : د. جمال البدري

عضو اتحاد الأدباء والكتاب

والمؤرخين العرب بالعراق

رقم الإيداع

8407/2000

I. S. B. N.

977-282-083-8

الطبعة الأولى بغداد 1998 م

الطبعة الثانية منقحة 2000 م

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م

8 إبراهيم العرابى ــ النزهة الجديدة ــ مصر الجديدة ــ القاهرة ــ ج.م.ع

تليفون : 2972344 - 2957655 / فاكس 2957655 / 00202

ص. ب 5599 هليوبوليس غرب

التنفيذ الضوئي والإخراج الفني

Palm Beach Computer

الإهداء

إلى أمير المؤمنين، خليفة العرب والمسلمين، رمز بغداد الخالد المتجدد ــ هارون الرشيد ــ بطل جميع الحكايات، على مدار الأيام والليالى والسنين..

مقدمة الطبعة الثانية المنقحة

حتى طباعة الكتاب ثانية، تم نشر عشر دراسات عنه فى طبعته الأولى، واحدة فى لبنان وثانية فى الأردن وثالثة فى القدس ورابعة فى الإمارات وخامسة فى السعودية وأربع فى مصر.. كما تسلمت أكثر من رسالة فيها رأى ووجهة نظر من جامعتين فى ألمانيا وبريطانيا.. وبقدر ما أسعدنى هذا الاهتمام المليء بالإثارة والشتائم والإعجاب كذلك، فلقد وصف عملنا بأنه «اكتشاف» مثير وجريء ومبرر..

لذا آثرت توضيح غموض كبير انتاب كل من قرأ هذا الكتاب:

١ ـ لم أقصد بتاتاً إحالة حكايات ألف ليلة وليلة إلى أية جهة غرضية.. قديماً أو حديثاً.. بقدر ماكنت أمارس البحث العلمى ـ الأكاديمى بشأن هذا الموروث الكبير فى تاريخنا العربى ـ الإسلامى العظيم، ومن خلاله توصلت إلى نتائجى دون الالتفات إلى العواطف.

٢ ـ إن قواعد البحث الموضوعية لم تستثنِ أى كتاب أو ظاهرة إنسانية من دائرة الدراسة أمس واليوم وغداً.. وأن لا قدسية أمام العلم من أجل الحقيقة والتطور، وأن الاختفاء وراء العواطف استمرار للسوء الموروث.

٣ - لم يسلم التفسير القرآني ولا الحديث النبوى من الإسرائيليات، فلماذا نسكت هنا ونغضب عندما يكون الأمر متعلقاً بألف ليلة وليلة المليئة بالعهر والفجور واللاأخلاقيات..؟

٤ - إن القول: بوجود دور يهودى أساسى فى وضع دلالات ومقاصد لحكايات ألف ليلة وليلة لاينفى ولا يلغى انتماء هذا العمل التاريخى الكبير إلى التراث العربى - الإسلامى.. فيهود العصور الوسطى كانوا جزءاً من المجتمع «العباسى»، فهم مواطنون مثل باقى أهل الذمة، وأى جهد أدبى أو فكرى ساهموا فيه لا يشكل «استقلالية» كما توهم البعض نتيجة سحب الحاضر «الصهيونى» على الماضى فى العصر العباسى، فشتان بينهما..

٥ - إن ألف ليلة وليلة تراث قومى - تاريخى، حضارى، لكن هذا التراث شأن أية ظاهرة موروثة كان وسيبقى موضوعاً للبحث والدراسة، ونكرر لا قدسية أمام العلم والحقيقة والإبداع.

٦ - إن تشويهات كثيرة ألصقت بالشخصية العربية - الإسلامية مازالت حتى اليوم هى المعتمدة لدى الرأى العام العالمى، ولو دققنا فى هذه التشويهات التى يروجها الإعلام الأوروبى - الأمريكى على وجه الخصوص لوجدناها مستقاة مما ورد فى حكايات ألف ليلة وليلة.. فبقدر ما شكلته ألف ليلة وليلة من تميز وعنوان لنا أمام الشعوب، فهى قد أساءت إلينا فى «البنى التحتية» للشخصية العربية - الإسلامية.. فكان لابد من قراءة ودراسة وكتابة جديدة للتاريخ..

وكتابنا هذا إحدى التطبيقات العملية على ذلك.. وصدق الله العظيم بقوله: ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون..﴾.

المؤلف

القاهرة المحروسة

١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

مقدمة الطبعة الأولى

الإطـــــار النـــظـــرى لــلدراســـــة

- أهمـــيـــة ألف ليلة وليلة.
- منهج البـــحث والدراســـة.
- فـرضيـة البحث والدراسـة.
- الغـايـة من هذه الدراســة.

أهمية ألف ليلة وليلة

لا يختلف اثنان على شهرة وخطورة وأهمية ألف ليلة وليلة.. الصغار والكبار يرون فيها نصيبهم من المتعة والخيال والتطلع.. لكن الأهم من كل ذلك - في تقديرنا - أن ألف ليلة وليلة:

١ - ليست قصصاً وحكايات..

٢ - وليست أساطيراً وخيالات..

٣ - وليست جنيات وعفاريت..

٤ - وليست شهوات ومؤامرات..

٥ - وليست أسفاراً ومغامرات..

فحسب، وإنما ألف ليلة وليلة، هي:

برنامج فكري شامل (مشفر) يستند إلى أسس ثابتة - متوارثة - ويسعى هذا البرنامج الكبير إلى:

أولاً: الحفاظ على مقومات الماضي الموروث وتعميمها، من خلال التطعيم (المفبرك).

ثانياً: تكييف الواقع الاجتماعى والثقافى والسياسى، فى المشرق العربى - الإسلامى، وفق هذا الماضى (المفبرك) وفلسفته الحياتية قدر الإمكان..

ثالثاً: رسم طريق مستقرة لاستمرارية هذا التكييف، على الرغم من المتغيرات والتطورات العاصفة بالمنطقة.. ولفترة طويلة..

رابعاً: إظهار الصورة بما يلائم المرحلة، بعد عرضها بجاذبية وتشويق وظرافة محببة للنفس، قريبة من عامة وخاصة الناس..

خامساً: استعمال اللغة الرمزية فى إيصال البرنامج الفكرى، لإقفال إمكانية (فك شفرة) هذا البرنامج/الليالى، لغير المطلعين على حقيقة تأليفه ووضعه، والغاية من وراء ذلك.. فكانت (الليالى) وسيلة العرض الناجحة وذائعة الصيت، فى كل المجالس والأماكن آنذاك ولترويج وجهات نظر مقصودة سلفاً..

سادساً: إن بنية ألف ليلة وليلة، تنطلق من قانون الإشاعة المعاصر:

الأهمية فى الغموض تساوى إشاعة ناجحة ومثيرة فى الحرب النفسية.. من هنا جاءت (مجهولية) اسم مؤلف ألف ليلة وليلة، طوال العهود السالفة من الزمن، ومن هنا أيضاً اختلطت الحقيقة مع الأسطورة، فكانت الليالى مثار اهتمام أهل الشرق والغرب، ومازالت وستبقى..

منهج البحث والدراسة

لعل منهج البحث والدراسة يؤشر الحقائق الآتية:

١ ـ تحديد الإطار النظرى والعملى، للقضية موضوع الاهتمام..

٢ ـ معرفة إيجابيات وسلبيات القضية موضوع الاهتمام، وبالتالى تشخيص مصادر القوة ونقاط الضعف فيها بشكل موضوعى - علمى ـ نقدى.. مستند إلى مراجع ومصادر متنوعة(*).

٣ ـ كشف الأبعاد الجديدة المضافة، تمييزاً عن جهود السابقين المهتمين بالقضية موضوع الاهتمام.

٤ ـ تنظيم العلاقة الجدلية بين ماضى وحاضر وأفق التحليل المؤدى إلى حقائق غير تقليدية وغير سطحية.

٥ ـ ربط القضية موضوع الاهتمام بالحركة الحيوية للحياة الإنسانية، مما يجعلها جزءاً عضوياً، له قيمة إبداعية ـ نفعية فى حسابات الحاضر والمستقبل.

(١) إن الرمز: م. س. ذ = مصدر سبق ذكره.. أينما ورد فى الدراسة.

وتأسيساً على ذلك، فإن منهج البحث الذى اعتمدناه فى هذه الدراسة، انطلق من الآتى:

أولاً ـ الأسلوب: هو التحليل (الداخلى) لليالى، والنقد المباشر مع المقارنة للناتج النهائى، إزاء المقتربات الفكرية لما جاء فى التراث الشرقى.

ثانياً ـ اللغة: الميل إلى اللغة الرياضية المقننة قدر الإمكان، بعيداً عن لغة ألف ليلة وليلة، ذات الإطناب والتكرار والتورية..

ثالثاً ـ النتائج: وهى على نوعين:

(أ) النتائج الضمنية داخل التحليل والتعليل.

(ب) النتائج النهائية بعد التحليل والتعليل.

ولأن أسلوب ولغة ومنهج البحث والدراسة، يميل إلى التقنين الرياضى، فلابد من معالجة (البدايات) موضوع المناقشة والاهتمام، لتحديد (النهايات) وفق نتائجها..

رابعاً ـ التطبيق: ولكى تتحقق لمنهج البحث والدراسة صفة الواقعية الفكرية، فإن هناك ربطاً حيوياً بين أدوات المنهج ومفردات الليالى الأساسية من شخوص وأماكن وموضوعات ودلالات مختلفة، حتى لا نقع فى أسطورية ألف ليلة وليلة، فالمسافة بين الحقيقة والأسطورة فى الليالى، وإن كانت غير منظورة بسهولة، لاتزيد عن (شعرة معاوية).

فرضية البحث والدراسة

إن فرضية الدراسة هي:

١ ـ أن ألف ليلة وليلة، نتاج أدبى ـ فكرى، سياسى، تاريخى، اجتماعى، له أهمية قصوى بين نتاجات الآداب العالمية فى الشرق والغرب، قديماً وحديثاً لقى ويلقى المزيد من الاهتمام المتجدد.

٢ ـ أن مؤلف الليالى ليس فرداً واحداً (مشخصاً) بل هى مؤسسة لها صفة الديمومة والاستمرارية، بغض النظر عن الأشكال والتطورات التاريخية والسياسية والثقافية المحيطة بها.

٣ ـ أن (مؤلف) الليالى، وإن كان زمن تأليفها مؤكداً فى العصر العباسى، ليس عربياً ولا مسلماً، بل اتخذ العروبة والإسلام والآداب الشرقية، وسيلة لغايات أبعد.. وإن كان مقيماً ـ آنذاك ـ فى ديار العروبة والإسلام، وتحت خلافة بنى العباس.

٤ ـ أن الدافع لتأليف الليالى ـ فى أول عمله ـ كان دافعاً مستحدثاً من قِبل الخلافة العباسية، والليالى هى رد فعل (رمزى) لهذا الفعل والدافع.

٥ - أن المقتربات غير المباشرة وهى الأوسع فى أسلوب الليالى، ترتبت عليها بعد قرون من الزمن، نتائج تقترب بنا من الموروث اليهودى أكثر ما تقترب بنا من غيره.

٦ - أن ألف ليلة وليلة فى نسختها الأصلية (العراقية) الأولى، استندت إلى جميع نتاجات الفكر والأدب والدين فى المشرق العربى الإسلامى، ولكنها تعاملت مع ذلك النتاج، وفق رؤيتها الخاصة، حذفاً وإضافة وتعديلاً وتشويشاً وإبرازاً لحقائق وطمساً لأخرى، والانتساب لواقع ورفض لآخر عن طريق الرمز والأسطورة والخيال. وأن النسخ اللاحقة للنسخة البغدادية - الأصلية - هى التى دخل إليها المزيد من التحريف والإضافة، بما جعلها تبدو مؤلفاً عربياً - إسلامياً مفتوحاً لغاية عصر المماليك.

٧ - أن هناك أحداثاً جساماً، سجلتها ألف ليلة وليلة لم تعط حقها فى تقييم هذا العمل الكبير ودلالاته الأبعد، مما دفعنا إلى الإشارة أن مؤلف ألف ليلة وليلة قد نجح فى تحقيق النتائج الأولية لمهمته غير المنظورة عبر العصور... فكان بالتالى - باختفاء اسمه - فاق من حيث التأثير على إعلانه صراحة... وهذه ميزة لم نجدها لغير اليهود فى الكتابة والتأليف والتحريف والطمس، وربما هى الأساس لانطلاق الحرب النفسية الحديثة عبر عمليات غسل الدماغ وتوجيه العقول، والتأثير على توجهات الرأى العام... لتحقيق متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية محددة سلفاً... وفق حسابات (خيالية) استيعابية لمجريات الأمور.

الغاية من هذه الدراسة

تأكيداً على ماسبق، فإن الغاية العلمية ـ المعرفية من هذه الدراسة، وفق رؤيتنا، هى:

١ ـ معرفة الأعماق التاريخية والفكرية التى انعكست فى تأليف ألف ليلة وليلة وفلسفتها.

٢ ـ تعريف ما لم يكن معروفاً من دلائل ورموز وأهداف ألف ليلة وليلة، على مستوى المشرق العربى ـ الإسلامى، ومنطقة (الشرق الأوسط)(*).

٣ ـ تحديد حجم الإسرائيليات من بين مادة ألف ليلة وليلة.

(*) اقترحنا سابقاً إطلاق تسمية (الشرق الإبراهيمى) بدلاً من الشرق الأوسط نسبة إلى النبى إبراهيم الخليل، الذى تلتقى عنده الأديان السماوية: اليهودية ـ النصرانية ـ الإسلام، حيث تتواجد هذه الديانات أصلاً فى هذه المنطقة.

للتفاصيل. ينظر، جمال البدرى: الأحزاب الدينية الإسرائيلية، الجذور ـ النشأة ـ التطور ـ الوظيفة. رسالة ماجستير، بغداد ١٩٩٦، ص ١٧١. (تم نشر الرسالة فى صحيفة القدس العربى ـ الصادرة فى لندن للفترة من ١٩٩٦/٩/٤ وحتى ١٩٩٦/٩/١٨ فى حلقات، وستظهر قريباً فى كتاب تحت عنوان «الجسر: الأحزاب الدينية الإسرائيلية» صادر عن دار نشر مدبولى الصغير ـ القاهرة).

٤ ـ تأثير الانعكاسات الثقافية والفكرية لألف ليلة وليلة على مجريات السياسة والمجتمع العربى الإسلامى، وعلاقة ذلك بالقوى الخارجية قديماً وحديثاً، سواء منها الموضوعة قصداً أو ناتجاً عنها بدون قصد مباشر.

أى أن الغاية العلمية من وراء هذه الدراسة، هى كشف الهدفية السرية من تأليف ألف ليلة وليلة منذ وضعها وحتى اليوم، وبأى قلم كُتبت، وهو ما لم يسبقنا أحد من ذى قبل لمعرفته وتحديده على وجه اليقين... فى الحدود التى نعرفها وتم إطلاعنا عليها.

المؤلف

الفصل الأول

الأعماق التاريخية والفكرية

- اليهود فى العراق القديم.
- بابلية التوراة والتلمود.
- الثالوث الشرقى المشترك.
- النتاج الفكرى العباسى.

اليهود فى العراق القديم

تعددت الآراء ووجهات النظر المعرفية، بشأن تسمية اليهود باسمهم هذا. فتارة ترد التسمية إلى زمن النبى إبراهيم الخليل ﷺ، وتارة تنسب إلى عهد حفيده النبى يعقوب ﷺ الملقب بإسرائيل، وتارة ثالثة تشير إلى يهوذا أحد أسباط بنى إسرائيل (أولاد يعقوب)، ورابعة تربط التسمية بعصر النبى موسى ﷺ [١].

لكن المحقق أن مصطلح (يهودى) استعمل أول مرة فى بابل عندما كان اليهود فى الأسر.. فمنذ ذلك التاريخ استعمل اسم يهود نسبة إلى مملكة يهوذا [٢]. ومن المرجح أن تسمية (يهودى) وردت لأول مرة على لسان الملك الأشورى سنحاريب (٧٠٥ـ٦٨١) ق. م عند وصفه لانتصاراته على مملكة يهوذا.

لقد سمى حزقيال ملك يهودا (حزقيال اليهودى) أى المنتسب إلى يهوذا

(١) أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، ط١، وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٧٢، ص ١٧٩ ـ ٢٠٣. كذلك، عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ط دار الهلال، القاهرة (بلا)، ص ١٨٦.

(٢) Lady Magnus, out line of Jewish History from B.C. 586 to C.E. 1885, London, 1924, P.2.

أو بيت يهوذا[١]. وأكدت الكشوف الأثرية حملة سنحاريب هذه وأسره لليهود وملكهم حزقيال أو حزقيا، وذلك فى (الألواح المحفوظة فى دار التحف البريطانية فى الرواق الأشورى المرقمة تحت الأرقام ٨١٠ و٨١١ و٨٢٩ و٨٤٠)[٢].

وهكذا أصبح لليهود أول وجود سكانى لهم فى العراق القديم، خلال القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت أماكن سكناهم الأولى فى شمال العراق، وكانت لغتهم الآرامية المسماة (الترجوم)، وهى الفرع الغربى من اللغة الآرامية، لغة (السيد المسيح) عليه السلام، والتى كانت متداولة فى فلسطين آنذاك... وكان أول أنبياء اليهود فى العراق القديم هو النبى (ناحوم)، وقبره فى (القوش) قريباً من نينوى (الموصل) على أرجح الآراء... والملاحظ أن يهود هذه المرحلة التاريخية لم يحافظوا على هويتهم الدينية فذابوا مع السكان المحليين، ثم تنصّروا ـ فيما بعد ـ واستبدلوا الآرامية باللغة السريانية[٣].

أما الوجود الفاعل لليهود فى العراق القديم، فقد بدأ مع الدولة البابلية (الكلدانية) خصوصاً ما سمى بالأسر البابلى لليهود على يد الملك نبوخذ

---

(١) J. Pritc hard, Archaeology and the old Testagent, princeton 1958, P.157.

(٢) يوسف رزق الله غنيمة نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٢٤، ص ٧.

(٣) أحمد سوسة. ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط١. م. دراسات فلسطينية، بغداد ١٩٧٨، ص ٣٢ ـ ٥٧.

نصر... إذ حاصر هذا الملك العراقى، أورشليم انتقاماً من تحالف اليهود بزعامة (صديقيا) مع ملك مصر آنذاك (خوفرا)... وتمكن نبوخذ نصر مع قواته من دخول أورشليم فى الرابع عشر من تموز (يوليو) سنة ٥٨٦ ق. م، ويشاع أنه لقى مساعدة خاصة من قبل السامريين(*)، أعانته على معرفة نقاط الضعف عند يهود أورشليم[١]، على أثر ذلك تم نقل عدة آلاف، من خيرة اليهود إلى بابل[٢]. وعلى عكس الأشوريين، منح البابليون الأسرى اليهود حرية السكن والعمل والعبادة.. ومما يدل على أن اليهود فى بابل كانوا يتمتعون بهذه (الامتيازات)، أن النبى أرميا كان يدعوهم إلى الاستقرار والزراعة والعيش بسلام، بعيداً عن الفتن والمشاكل والتحريض: «هكذا قال رب الجنود - إله إسرائيل - لكل السبى الذى سبيته من أورشليم إلى بابل، ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها... واطلبوا سلام المدينة التى نسبتكم إليها، وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام... فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم، الذين يكلمونكم قائلين، لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب

(*) السامريون - فئة صغيرة من اليهود الرافضين الإيمان بغير التوراة (أى الأسفار الخمسة) وهم يرفضون التلمود.. ونسبتهم إلى السامرة، أو السامرا، يقيمون فى مدينة نابلس المسماة شكيم قديماً. وهذه الفئة لا تعتبر جبل صهيون مزاراً لها وإنما تعتد بجبل (جرزيم) قرب نابلس بدلاً عن صهيون.. بينها وبين اليهود الأرثوذكس مشاحنات واختلافات، ولغتهم اليوم العربية بدلاً من العبرية. ولديهم حالياً تنظيم اسمه ناتورى كارتا (أى حراس المدينة). للتفاصيل ينظر، جمال البدرى: الأحزاب الدينية الإسرائيلية، م. س. ذ، ص ١٨٤.

(١) البيرونى: الآثار الباقية من القرون الخالية، ط ليبزك، ألمانيا، ١٩٣٢، ص ٢١.

(٢) توينبى: تاريخ البشرية، ج١، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١، ص ١٦٥ - ١٦٦.

لكى يطردوكم.. فتهلكوا»[1]، وقد ظهر بين يهود بابل فى هذه الفترة نبيان، هما: حزقيال (ذو الكفل) الوارد اسمه فى القرآن الكريم، ودانيال، اللذين احتضنهما البلاط البابلى[2]. فى عام ٥٣٩ ق. م سقطت بابل (المدينة - المملكة) على يد الفرس الأخمينيين بقيادة الملك كورش، الذى سارع إلى تقديم المساعدة لليهود لغرض العودة إلى فلسطين، بعد أن أعاد إليهم معالم الهيكل المقدس، التى سبق أن استولى عليها الملك البابلى نبوخذ نصر.. فعادت طائفة منهم إلى فلسطين (أورشليم) بقيادة (زور بابيل) بن شلائيل بن يهوياكين، آخر بقايا ملوك يهوذا الأسرى[3]، وتشير بعض الروايات إلى أن الملك كورش تزوج من شقيقة زور بابيل التى أصبحت أقرب محظياته إلى نفسه، مما انعكس إيجابياً على موقفه العام من اليهود، حتى نعتت اليهود هذا الملك، بالمنقذ وبالمسيح المنتظر[4]، من جانب آخر فإن أعداداً كبيرة من اليهود رفضت البقاء فى بابل، ومواصلة حياتها ونشاطها وأعمالها التجارية والزراعية والدينية دون انقطاع عن يهود أورشليم العائدين[5]، وبسبب هذا الاستقرار اشتهرت العديد من الأسر اليهودية بمكانتها، مثل عائلة

---

(١) التوراة: سفر أرميا ٩/٢٧٠ - ١٠، وكذلك أرميا ٥/٢٩٠٠ - ٩ - ٢٨.

(٢) أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ١٤٢ - ١٤٦.

(٣) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الثانى، بغداد ١٩٥٥، ص ٩٩. ومن الجدير بالذكر - هنا - أن زور بابيل (أى المولود فى بابل)، أصبح حاكم أورشليم نيابة عن الملك الفارسى كورش.

(٤) التوراة: سفر أشعيا ٣٨/٤٤ - ٤٥ - ١.

(٥) أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ١٤٧ - ١٤٨. كذلك ينظر: S. Daiches: The Jews in Babylonia in the time of Ezra and Nehemiah According to Babylonian Inscription, London, 1910, P. 11-29.

(المورا شو) الغنية، والتى نجحت فى إقامة بنك يتعاطى الربا والبيع والشراء والارتهان، وخصوصاً بين اليهود...[1]، وشهدت هذه المرحلة أيضاً، ظهور النبى (عزرا) والنبى (نحميا)، وهما اللذان عادا بمجاميع أخرى من يهود بابل إلى أورشليم، على عهد الملك الفارسى ارتحشستا الأول (٤٦٥ ـ ٤٢٥ ق. م)، أما فى عهد الملك الفارسى (احشويرش ـ الأول ٤٨٦ ـ ٤٦٥ ق. م)، فقد حظى اليهود بمكانة أفضل فى العراق القديم على أثر زواج هذا الملك من (استير) اليهودية التى ساهمت فى إنقاذ وجود اليهود من التهلكة، بعد نجاحها بالقضاء على أعداء بنى قومها فى البلاط الفارسى... حتى أصبح يوم (الخلاص) على يدى استير، عيداً متميزاً عند اليهود اسمه (البوريم)، يحتفلون به فى الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار، من السنة العبرية[2]، لقد استمر الوجود اليهودى فى العراق القديم، تحت مختلف العهود الحاكمة، بين مدٍّ وجزر، ويمكننا ـ هنا ـ تلخيصه بالآتى:

١ ـ يعد العصر الذهبى الذى شهده الوجود اليهودى فى بابل، تحت حكم الفرس الأخمينيين، إذ واجه اليهود المتاعب مع سيطرة الإسكندر المقدونى على بلاد الشرق، ودخوله إلى بابل.. لكنهم تمكنوا من استرضائه ومصالحته من خلال المشاركة فى جيشه المقاتل ضد أعدائه[3]، إضافة إلى تقديم الهدايا إليه..

---

(١) يوسف غنيمة: م. س. ذ، ص ٦١.

(٢) ليدى دراور: فى بلاد الرافدين ـ ترجمة فؤاد جميل، بغداد ١٩٦١، ص ٢١٦.

(٣) J. Neusner: History of the Jews in Babylonia, vol. 1, the Parthian period, Leiden, 1965, P. 11.

٢- بعد موت الإسكندر المقدونى، خلفه (سلوفس)، وفى عهده وعهد الملك أنطيوخس الثالث السلوقى، تحسن وضع اليهود كثيراً فى العراق القديم، وصارت منهم حامية عسكرية موالية لحكم السلوقيين[١].

٣ - فى عهد الفرس الفرثيين (١٣٩ ق. م - ٢٢٦م)، تطور إيجابياً وضع اليهود فى العراق القديم، حتى أصبح وضعاً مستقلاً.. ففى المدن التى كانت فيها مجاميع كبيرة منهم، كان لهم استقلال بلدى وحق انتخاب قضاة، وحارة خصوصية بسكناهم (جيتو)، هذا كان شأنهم فى بابل وسلوقية وطيسفون..

وكانوا يقومون بأمور دينهم وشعائر مذهبهم بكل حرية[٢].

٤ - وأما فى عهد الفرس الساسانيين (٢٢٦ م - ٦٣٧م)، فقد كانت صلتهم بالفرس متقلبة بين وئام وخصام، لكن المار صموئيل رئيس مدرسة نهر دعة اليهودية، لعب دوراً مهماً فى توطيد العلاقات الحسنة، وتمكين عرى الوئام بين الفرس واليهود.. وسار على هذا النحو أبناء طائفته، فأهدوا العطايا والهدايا الثمينة إلى الحكام الساسانيين، وأبدوا من التساهل إلى أبعد حد مع المجوس، فأكلوا مأكلهم، وقدموا فحماً إلى هياكلهم المقدسة.. حتى جاء الإسلام، فمنهم من دخل فيه، ومنهم، وهم الأكثرية، أدى الجزية[٣]...

---

(١) J. Neusuer, Op. Cit., P. 12.

(٢) يوسف غنيمة: م. س. ذ، ص ٦٩. ربما كان هذا (أول) جيتو لليهود فى التاريخ، حول الجيتو ينظر: جمال البدرى، م. س. ذ، ص ٤٨ - ٥١.

(٣) أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ١٦٨ - ١٧٢.

بابلية التوراة والتلمود(*)

ليس بجديد القول إن التلمود، بابلى، وضع من قِبل أحبار اليهود لتنظيم شؤونهم الدينية - الاجتماعية، أثناء الأسر البابلى، إبان العهد الكلدانى... لكن السؤال الذى يطرح نفسه لأول مرة - هنا - فى ضوء هذه الحقيقة، إذا كان التلمود تفسير وشرح (مباشر) وتطوير لما جاء فى التوراة، فإن ثمة هوة شاسعة بين توراة النبى موسى ﷺ.. كما تلقاها عن ربه سبحانه، ومفاهيم ومفردات وأجواء التلمود البابلى، كما هى المسافة شاسعة - آنذاك - بين بابل وسيناء/ مصر الفرعونية، حيث لقى موسى ناموسه المقدس.

(*) التلمود من معانية الشرح والتفسير لمجموع ماجاء فى التوراة، وهو يختلف هنا - عن الحديث النبوى وعلاقته بالقرآن الكريم.... والتلمود على قسمين:

١ - المشنا وهو المتن (الحلقوت).

٢ - الجمارا وهو الشرح.... وكلاهما يسمى بالشريعة الشفوية، فيما تسمى التوراة بالشريعة المكتوبة، وهناك نوعان من التلمود:

أولاً - التلمود البابلى: وهو الأغنى بمادته، والأهم بشرعيته والأكبر بحجمه والأقدس، لغته آرامية شرقية قريبة من المندائية العراقية (لغة الصابئة)، وعادة يطبع فى اثنى عشر مجلداً، تقع بنحو ستة آلاف صفحة.. وضع عام ٤٩٠م، أثناء الأموراييم.

ثانياً - التلمود الأورشليمى أو الفلسطينى: الذى وضعه أحبار مدرسة طبرية الدينية بعد التلمود البابلى، لغته الآرامية الغربية.. للتفاصيل ينظر: C. Dambj: The Babyloinan Talmud, London, 1935, P. 20-40.

إذن، لابد من أن تكون هناك توراة أخرى تلتقى مع التلمود البابلى فى شؤون الجغرافية والتاريخ وعلم الاجتماع والطبيعة الواردة فيها.. وفى تقديرنا أن هذه التوراة ليست غير توراة بابلية (جديدة) كما هو التلمود بابلى(١).

وهذه التوراة البابلية هى النسخة المعتمدة والمتداولة حتى اليوم فى شرق وغرب العالم بين مختلف طوائف اليهود.. بعد ثبوت اندثار توراة النبى موسى ﷺ، سواء بالتحريف والإضافة أو بالضياع والاندثار.. واليهود - اليوم - يرون فى التوراة البابلية هذه أنها توراة موسى الأصلية، بينما هى توراة كتبت أثناء الأسر البابلى مثل التلمود «مستمدة بعض أصولها من ذكريات التوراة الموسوية المندثرة بعد خراب الهيكل وسقوط أورشليم محترقة لأكثر من مرة»(٢). وهو ما أكده أكثر من مصدر مشيراً إلى أن ماجاء فى التوراة من قصص مثل قصة الخلق «مستمدة مما يسمونه بالمصدر الكهنوتى، الذى ألفه كُتّاب كهنوتيون فى أثناء السبى البابلى أو بعده»(٣).

إن نظرة متفحصة ومقارنة لطبوغرافية التوراة التى نحن بصددها توصلنا إلى حقائق مباشرة منها الآتى:

---

(١) هناك توراة سامراء (مدينة في العراق) كانت عاصمة الخلافة العباسية، للتفاصيل عنها ينظر: جمال البدري: الأحزاب، م. س. ذ، ص ١٠.

(٢) W. Keller: The Bible as History, Archaeology confrms, The Book of Book, London, 1958, P. 241-242.

(٣) جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم، ج١، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٨١، ص ٨١.

١ ـ أن بابلية التوراة حقيقة واقعة مثل بابلية التلمود.

٢ ـ أن أجواء العراق القديم.. وخصوصاً فى مناطق الفرات الأوسط والجنوب هى السائدة فى هذه التوراة.

٣ ـ أن التقاليد والآداب والمفاهيم الحياتية فى الدين والاجتماع والطقوس، من بابلية وعراقية معاصرة لها آنذاك، تشكل المادة الأساس فى بلورة أسفار العهد القديم.

وبالتالى فإن نسبة التوراة إلى سيناء أو إلى شبهة الجزيرة العربية، عملية وقوع فى دائرة الوهم التاريخى ـ المقارن ـ والاجتهاد غير القائم على رؤية معرفية بتاريخ المنطقة واليهود(١).. ولعل ما طرحه (أحمد سوسة) وهو يهودى عراقى أعلن إسلامه، فيه القول الفيصل: «التوراة ـ كما هو معلوم ـ من وضع الكتبة اليهود فى وقت متأخر، دونت فى بابل، وهى مشحونة بالأساطير والمبالغات..»(٢).

وتأسيساً على ماسبق نتساءل: من كتب توراة بابل؟ ولماذا كُتبت؟

بالنسبة للسؤال الأول، فمن المرجح أن توراة بابل هذه تمت كتابتها من قبل (عزرا ونحميا)، فمن هما عزرا ونحميا؟

فى عهد الملك الأخمينى ارتحشثتا الأول (٤٦٥ ـ ٤٢٥م) ظهر عزرا وظهر نحميا، وهما «نبيان» يهوديان الواحد منهما معاصر للآخر.. وهما من الجيل الأول من الأسر البابلى..

---

(١) للمقارنة بالتفاصيل والاستنتاج ينظر، كمال صليبا: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ٣، بيروت ١٩٨٦.

(٢) أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ٢٥.

أما النبى عزرا بن سرايا فكان كاهناً ولقب بالكاتب لأنه عمل كاتباً ماهراً، وحاذقاً بأمور الشريعة اليهودية، سمى (بكاتب شريعة إله السماء) كما سمى أيضاً (بمفسر وصايا الرب)[1].. وقد تمكن عزرا من كسب ثقة الملك الفارسى ارتحشتا الأول وموافقته للتنقل مابين بابل وأورشليم لأكثر من مرة، وكان الملك يزوده برسائل تسهل له مهمة سفره عند مروره بالمقاطعات الخاضعة للحكم الأخمينى، مع تقديم العون إليه.. كما خوّله الملك المذكور بإدارة شؤون اليهود فى أورشليم[2]. استقر عزرا ـ أخيراً ـ فى أورشليم بعد أن نجح بتهجير عدة مئات من يهود بابل معه، ليفرغ لمهمته الكبيرة فى تثبيت أصول اليهودية.. وقد ترافق استقرار عزرا فى فلسطين، تعيين نحميا حاكماً على أورشليم من قِبل الفرس الأخمينيين.

لقد أعاد عزرا الهيكل الدينى لليهودية.. وأعاد نحميا الهيكل السياسى (وإن كان تحت السيطرة الإخمينية) للوجود اليهودى فى أورشليم وما جاورها، لأول مرة منذ سقوطها[3].

لم تظهر ـ فى تقديرنا ـ توراة بابل إلا بعد أن أذاعها عزرا أمام جمع غفير من يهود أورشليم.. وهنا نلاحظ أن ثمة سبباً تاريخياً خطيراً، سبق ذلك وترتب سبب آخر عليه، ومازال قائماً حتى اليوم.

أما السبب الأول، فهو اكتفاء عزرا ونحميا وأتباعهما بنشر التلمود البابلى فى ربوع بابل للإيحاء بأنه لايوجد غيره من الكتابات المقدسة لدى

(١) المصادر السابق نفسه، ص ١٥٣.

(٢) التوراة: الإصحاح الثامن، سفر عزرا ١٠.

(٣) للتفاصيل ينظر، جمال البدري: الأحزاب، م. س. ذ، ص ٢٤ ـ ٢٩.

كتبة وكهنة اليهود(*)، ولذلك فإن هذه الإذاعة للتلمود البابلى ساهمت كثيراً فى إعطاء توراة بابل - لاحقاً - مصداقيتها بأنها التوراة الحقيقية المُنزّلة على موسى فى طور سيناء، ولذا فهى ظهرت - ثانية - فى أورشليم ولم تظهر فى غيرها.. «وقد قام عزرا بعد وصوله إلى أورشليم بقراءة ناموس موسى أمام اليهود وتفسيره لهم، مستعيناً بالترجمة الآرامية للأصل العبرانى.. فصاروا يعتبرونه زعيماً لهم بعد موسى.. ويعتبرونه مؤسس نظم اليهودية المتأخرة ولقبوه بـ: الكاهن والكاتب.. وقد قيل إنه هو الذى حمل إلى فلسطين الأحرف الآرامية المربعة الشكل المعروفة بالخط الأشورى المربع، التى مهدت لنشر الأبجدية العبرانية الحالية»[1].

وهنا نستطيع أن نحدد أهم نتيجتين حققهما عزرا بمساعدة نحميا، فى التاريخ اليهودى لنشره تلك التوراة، هما:

١ - ربط اليهود بالنبى إبراهيم الخليل بطريقتين:

(أ) أن الأسر البابلى كان عودة إلى النبع، حيث كان (إبراهام) أولاً.

(ب) أن ظهور (التوراة) ثانية، على الرغم من تدمير الهيكل وإحراق كتبه

(*) إن نظام (السنهدرين) الذى كان قائماً حتى عام ٧٠م، وهو مجمع اليهود الدينى، ويتكون من سبعين حبراً، لم يظهر باسمه السابق، ولكن كان اليهود يديرون نشاطهم الداخلى بنفس طريقة السنهدرين.. حتى إنشاء «إسرائيل» ١٩٤٨م.

(١) للتفاصيل ينظر، عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات.. الصهيونية - رؤية نقدية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥، ص٩٥.

المقدسة بعد اقتحام أورشليم، فيه دلالة على التواصل مع ناموس موسى النبى.

٢ ـ إدخال التحريفات والأساطير الملائمة للوضع الاجتماعى والثقافى لليهود، ومازالت معظم هذه الأساطير تتحكم بالفرد وبالديانة اليهودية سياسياً ونفسياً[١].

من أجل هذين السببين وغيرهما كُتبت التوارة البابلية (السؤال الثانى). ونكرر أنها النسخة الأم لجميع نسخ العهد العبرى القديم حتى يومنا هذا، وأن صلة هذه التوراة بتوراة النبى موسى ـ من خلال مقارنة بعض أحكامها مع ماجاء فى القرآن الكريم مثلاً ـ يشير إلى أن توراة بابل لاتتعدى أن تكون (الظل) مقارنة بالأصل فى أحسن الأحوال. «ويجمع كل علماء الكتاب المقدس على أن كتاب العهد القديم، تم وضعه خلال وبعد السبى البابلى»[٢]. وهو مايؤيده من طرف آخر ولكن بنفس الاتجاه، محاولة اليهود «إيجاد علاقة مباشرة بين الأسباط الاثنى عشر ـ أولاد يعقوب ـ الذى سموا بالآباء الإسرائيليين، وبين قصة خروج النبى موسى، رغم الفارق

(١) للتفاصيل ينظر، أحمد شلبى: مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٥. كذلك، غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٠، ص ٢٣. كذلك، روجيه غارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مكتب الغد العربى، القاهرة ١٩٩٦، الفصل الأول.

(٢) أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ١٥٤، نقلاً عن التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، ص ٢٠.

الزمنى الطويل بينهما، إلا أن ذلك لا يلقى تأييداً تاريخياً حقيقياً، وهو موضع شك كبير»[1].

وهكذا كان الأسر البابلى «عاملاً قوياً فى تطور الدين اليهودى فى القرون التالية، بل إن الأمر كان أكثر من ذلك، لأن علم الآثار قد برهن على أن المقومات الأساسية للتوراة بابلية صرفة، فتأثير بابل على الديانة اليهودية وثقافتها وآدابها، كان بكل تأكيد عظيماً جداً»[2]. ولكن تشيع «اليهودى بطبع عدوانى زاد من تفاقم مواقفه إزاء الآخرين، وجعله يتباهى بممتازية توراته، من أجل أن يعتبر نفسه كأنه فوق الشعوب الأخرى وخارجها»[3]، لتعميم أن إسرائيل هى محور «العالم، هى منه العصب والمركز والقلب»[4].

إن أرجح الآراء بشأن مكان النبى عزرا هذا تشير إلى أنه مدفون فى موضع (العُزير) بالقرب من مدينة ميسان العراقية، توفى هناك عندما كان مسافراً إلى بلاد فارس، ويؤيد هذا الرأى الرحالة ياقوت الحموى الذى أشار عند حديثه عن مادة (ميسان).. بالآتى:

«ميسان اسم كورة واسعة، كثيرة القرى والنخل، بين البصرة وواسط،

(١) كاثلين كينون: الكتاب المقدس والتنقيبات الآثارية، لندن ١٩٨٦، ص ٢٤.

(٢) H. Gwkel: Israel and Babylon the Influence of Babylon on the Religion of Israel, Philadelphia, 1904, P. 12-22.

(٣) برنار لازار: معاداة السامية والثورة، باريس ١٨٩٥، ص ١٣.
(مقتطفات مترجمة ـ روجيه غارودي).

(٤) أندريه نيهر: جوهر التنبوئية، منشورات كالمان/ليفي، باريس ١٩٧٢، ص ١١١.

قصبتها ميسان.. وفى هذه الكورة، قرية فيها قبر عزرا النبى عليه السلام، مشهور، معمور، يقوم بخدمته اليهود، ولهم عليه وقوف، وتأتيه النذور، وأنا رأيته»[١].

كما أشار الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى إلى صحة هذا الموقع الذى فيه «قبر عزرا الكاهن ـ الكاتب، توفى فيها أثناء قدومه من القدس، لمقابلة الملك ارتخششتا، وعند قبره كنيس كبير لليهود وجامع للمسلمين، وهؤلاء يجلون المقام ويؤمونه لإقامة الصلاة فيه»[٢]. كما كرر القزوينى من رجالات القرن الثالث عشر، هذه الحقيقة[٣] وأوردها كذلك يوسف غنيمة من المحدثين[٤].

وفى تقديرنا أن شخصية ودور النبى عزرا تعد من أخطر الشخصيات والأدوار فى التاريخ اليهودى ـ قديماً وحديثاً ـ وإن لم تسلط الأضواء كثيراً عليه، لأنه نقل اليهودية ـ لأول مرة ـ من الدين إلى الفكر السياسى، وهو بذلك سبق ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، بأكثر من ألفى عام، ويكفيه أنه كاتب أساسيات التوراة والتلمود البابليين، وواضع أساسيات اللغة العبرية الحديثة، وله الفضل فى ربط تاريخ اليهود بأبى الأنبياء إبراهيم الخليل ربطاً محكماً عبر كل الأجيال[٥]، وطبع اليهودية بطابعها الجيتوى..

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ط القاهرة، (بلا)، ص ٧١٤.

(٢) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين فى القرن الثانى عشر (١١٦٥ ـ ١١٧٣)، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٩٤٥، ص ١٥٠.

(٣) القزوينى: آثار البلاد، ط غوتنجن، ١٨٤٨، ص ١٣٠.

(٤) يوسف غنيمة. م. س. ذ، ص ١٨٩ ـ ١٩٦.

(٥) للتفاصيل، جمال البدرى: النبى إبراهيم خارج المنظور الصهيونى، ط ١، الدار العربية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٩، ص ١٧ ـ ٢١. صدر فى القاهرة بطبعة ثانية ١٩٩٩، تحت اسم النبى إبراهيم والشرعية السياسية.

وأن هذه «العزلة اللاعقلية ساهمت فى صنع خصوصية اليهود، على تفسيرات منطقية للشريعة بل ومتخندقة حول موانع عازلة رفعها حول التوراة عزرا والكتبة الأوائل، ثم الفريسيون والتلموديون، ورثة عزرا المحرفون للموسوية الأولى»[1].

ومن بعد عزرا يأتى دور «النبى» نحميا، باعتباره أول حاكم يهودى لفلسطين بعد سقوط مملكتى إسرائيل ويهوذا.. ونحميا بن حلكيا، كان ساقياً للخمر فى بلاط الملك الفارسى ارتخششتا الأول، فنال منزلة رفيعة بين رجال البلاط الملكى، وذات مرة، عرض على الملك ارتخششتا إمكانية إعادة بناء سور مدينة أورشليم (المدمرة)، فوافقه الملك على ذلك المقترح، بل زاد على ذلك بدعمه، وأمر بتعيين نحميا حاكماً على يهود فلسطين نيابة عنه.. وأرسل معه حرساً خاصاً ورسائل لعماله لغرض تقديم المساعدة إليه، فاستمر حاكماً لأورشليم لما بين عامى (٤٤٤ ـ ٤٣٢ ق. م)[2].

إن أبرز أعمال نحميا الحاكم لبنى قومه اليهود، تمثلت بالآتى:

١ ـ إعادة بناء سور الهيكل المقدس..

٢ ـ إعادة بناء سور مدينة أورشليم..

---

(١) جيرشوم شوليم: التيارات الكبرى فى التصوف اليهودى، منشورات بابو، باريس ١٩٧٧، ص ١٤.

(٢) للتفاصيل، التوراة. سفر نحميا ٦/١٣ و٧/١٣. كذلك ينظر، الأباء اليسوعيين ـ قاموس الكتاب المقدس، ط ١ الجديدة، بيروت ١٩٧١، ص ٩٦١ ـ ٩٦٣.

٣ ـ منع اليهود من التزوج بالنساء غير اليهوديات، حفاظاً على (نقاء) الدم اليهودى، ومازال هذا الإجراء سارياً حتى اليوم بين اليهود..

ومن الجدير بالذكر ـ هنا ـ أن سلوك هذا الحاكم اليهودى، أدى إلى صدامات مع عرب سيناء بزعامة الملك العربى (جشم) رئيس قبيلة قيدار(١).

---

(١) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب، ج١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ص ٦٤٦ ـ ٦٤٨. ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة الإشارة إلى أن هناك ثلاث مرات فقط فى تاريخ فلسطين قديماً وحديثاً قبل إنشاء «إسرائيل»، تم فيها تعيين حاكم يهودى عليها، وهذه المرات هى:

أولاً: تعيين نحميا بن حلكيا، تحت الحماية الفارسية.

ثانياً: تعيين هيرودس تحت الحماية الرومانية.

ثالثاً: تعيين السير هربرت صموئيل تحت حماية الانتداب البريطانى.

الثالوث الشرقى المشترك

تفرعت معظم الأفكار والمذاهب الأدبية والاجتماعية والقانونية والمعرفية القديمة فى الشرق عن التراث البابلى على وجه الخصوص.. وقد رأينا أن أساسيات الفكر التوراتى وتطبيقاته التلمودية، استندت إلى هذا التراث، الذى وسم منطقة الشرق الإبراهيمى (الأوسط) القديم بميسمه، نظراً للسطوة السياسية ـ العسكرية والتجارية ـ الثقافية، التى كانت عليها بابل آنذاك، ولعل يهود بابل، أدركوا قيمة (مركز القوة) هذا فعملوا على الآتى:

١ ـ التكيف مع الأوضاع الجديدة.... بعد الأسر..

٢ ـ التفاعل مع مفردات الحياة البابلية، اجتماعياً وسياسياً..

٣ ـ إيجاد دور متميز لهم وسط الحياة البابلية هذه، خصوصاً فى:

أولاً: الدور التجارى والمالى...

ثانياً: الخدمة فى البلاط الملكى...

٤ ـ مادامت بابل عاصمة العالم القديم، فهى ملتقى هذا الشرق المتفاعل، ما حملهم على الاستفادة من هذا (التفاعل) بشكل مباشر وغير مباشر،

وذلك بالتماس مع شعوب المنطقة.. وقد تحققت لليهود الفرص المواتية حتى بعد السقوط ـ العسكرى لبابل على أيدى الفرس بمختلف عهودهم (الأخمينية ـ الفرثية ـ الساسانية) كما مر بنا سابقاً..

كانت تجربة اليهود الفكرية الأولى، بعد النبى موسى، تجسدت فى الآتى:

(أ) الاقتباس الدينى والاجتماعى من الحضارات المصرية القديمة، وتهويد هذا الاقتباس(١).

(ب) وراثة التراث الكنعانى، وتهويد هذا الإرث الحضارى المحلى لصالحهم(٢).

وأما تجربتهم بعد سقوط أورشليم لمرتين على أيدى الأشوريين والبابليين، فقد تجسدت بالآتى:

(أ) تعريق موروثهم الدينى ـ الاجتماعى والفكرى بابلياً...

(ب) الانفتاح على التراث الشرقى السائد ـ آنذاك ـ فى بلاد فارس والهند والصين..

فماذا أخذ اليهود، وممن أخذوا ذلك؟ مما انعكس ـ لاحقاً ـ بصورة أو بأخرى، فى ثنايا حكايات ألف ليلة وليلة..

---

(١) عبدالمحسن الخشاب: تاريخ اليهود القديم بمصر، منشورات مكتبة مدبولى، ط١، القاهرة ١٩٨٩، ص ٣٧.

(٢) عز الدين غربية. فلسطين تاريخها وحضارتها، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨١، ص ١٢١ ـ ١٤٥.

للإجابة عن هذين التساؤلين سنقارن أبرز سمات الفكر التوراتى والتلمودى مع بعض النتاج الشرقى القديم، ولنأخذ موضوعة الوصايا العشر لنرى ذلك...

تعتبر الوصايا العشر الواردة فى التوراة من أبرز الموضوعات الدينية اليهودية، ولو تتبعنا أصولها لوجدناها قد وردت فى بعض النصوص الهندوكية:

«وقال ماهافيرا: الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث، وهى الاعتقاد الصحيح، والمعرفة الحقيقية، والسلوك السليم، والسلوك السليم يأتى أولاً.. وهو باتباع الوصايا الخمس للنفس:

- لا تقتل...
- لا تسرق...
- لا تكذب...
- لا تحيى حياة الفجور...
- لا ترغب فى شىء...

قال الناس: وكيف نقضى على العناء؟

أجاب ماهافيرا بالتخلى عن جميع الرغبات.. فعندما يتخلى الإنسان عن جميع الرغبات يستطيع أن يعد نفسه لأعظم سعادة روحية.. وهى النيرفانا»(١).

---

(١) سليمان مظهر: قصة الديانات، ط ١، منشورات الوطن العربي، بيروت ١٩٨٤، ص١٣٩.

كما أخذ اليهود عن البوذية، القواعد الثمانى، لكنهم حرّفوها عن معناها، ودلالاتها الداعية إلى الخير المحض وجعلوها خاصة بالخير لصالح اليهود دون غيرهم، وهى:

١ - الإيمان الحق.

٢ - القرار الحق.

٣ - الكلام الحق.

٤ - السلوك الحق.

٥ - العمل الحق.

٦ - الجهد الحق.

٧ - التأمل الحق.

٨ - التركيز الحق.

وهذا لا يكون إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مرحلة السلام[(١)].

من جانب آخر، ترى العديد من المصادر التاريخية أنه حتى «الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء أنها الشىء الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية، لم تكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١١٢.

(٢) سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، منشورات كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٦٩، ص ٨. للتفاصيل ينظر، حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى، أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١، ص ١٣ - ١٧.

أما تأثير الزرادشتية على الفكر اليهودى، فيمكننا تلخيصه بالآتى:

١ ـ يعتقد المجوس (الزرادشتيون) أن عقيدتهم هى أفضل عقيدة فى العالم، وأنهم يحرمون على أى إنسان لم يولد زرادشتياً، أن يعتنق دينهم، وكذلك اليهود.

٢ ـ يرى المجوس بعدم السماح للطبقات الشعبية اعتناق عقيدتهم حتى لا تتحول إلى (عقيدة وثنية) .. وأن من الخير لهم أن يبقوا قلة من الأتباع..

٣ ـ تعلم اليهود من المجوس أن هناك قوتين فى الوجود، إله الخير والنور، المسمى اهورامزدا. وإله الشر المسمى اهرمان، لكنهم أطلقوا على إلههم الخاص بهم (يهوه) اسماً واحداً وجعلوه للخير والشر، للنور والظلام، للفرح والحزن.. أى أنهم وحدوا اقنومية الإله المجوسى الثنائية..

٤ ـ بفضل الزرادشتية اقترب اليهود ـ نسبياً ـ من فكرة الحياة الأخرى، بعد الموت، وعرفوا مفاهيم مثل الجنة والنار، نقلوها إلى عقيدتهم[١].

٥ ـ ولعل أخطر ما اقتبسه اليهود من الزرادشتية هو اعتقادهم بفكرة مجيء المسيح المنتظر[٢].

---

(١) سليمان مظهر: م. س. ذ، ص ٢٩٧ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٢) جمال البدرى: م. س. ذ، ص ٢٤ ـ ٢٩. كذلك، ديفيد لاندو: الأصولية اليهودية، العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبدالكريم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٠ ـ ٦٦.

وهكذا وجد اليهود فى الزرادشتية دماً جديداً، زاد من قوة وحيوية الفكر التوراتى والتلمودى.. وبذلك أصبح الثالوث الشرقى المشترك (اليهود - الفرس - الهنود) من خلال مفاهيم (الهندوكية - البوذية - الزرادشتية) الشىء الذى أعطى للفكر التلمودى - التوراتى - سمته وطابعه الكمى، بعد أن اقتبس من بابل تراثه النوعى.. «وحسبنا القول: إن العقيدة اليهودية قد استوعبت الكثير من أساطير مصر وبابل وحكمتها، ومن ثقافات الشعوب المحيطة بها، ولاسيما الكنعانيون والفينيقيون، وأخص بالذكر تأثير اليهودية العميق بعقيدة زرادشت، تأثراً يتجلى بالذات فى المشابهة القوية بين تعاليم زرادشت وسفر أشعيا الثانى»[1].

---

(١) فؤاد محمد شبل. توينبى مبتدع المنهج التاريخى الحديث، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧٥، ص ١١٢.

النتاج الفكرى العباسى

شكّل النتاج العربى ـ الإسلامى فى العصر العباسى الأول وماتلاه مباشرة، أحد روافد الفكر اليهودى، سواء ذلك الذى ظهر فى بعض مؤلفات اليهود المستعربين أو فى تصورات الفرق الدينية المستجدة، وكذلك اعتمد كمادة أساس فى بنية حكايات ألف ليلة وليلة، ويمكننا ملاحظة الآتى:

(أ) لم تكن ثمة مسافة نفسية وسياسية شاسعة بين أهل الذمة ومنهم (اليهود)، والحياة العربية الإسلامية، تحت الخلافة العباسية عموماً..

(ب) أن استثمار بعض القصص والحكايات العربية ـ الإسلامية أو ذات الشخوص والموضوعات الإسلامية ـ بعد إعادة صياغتها ـ قد خدم جهة تأليف ألف ليلة وليلة، مما جعل هذه الحكايات مقبولة ومتداولة بين الجمهور، فهى بمثابة وسائل نقل طريفة، ولطيفة لمقاصد فكرية موجهة، وبذلك نجد الكثير من المتشابهات الأدبية لمؤلفين سابقين أو معاصرين لليالى، مصاغة كتاباتهم بأسلوبها، بعد أن تعاملت معها جهة تأليف

الليالى بطريقة ألف ليلة وليلة، ونذكر بعضاً من هذه النتاجات (العباسية):

١ ـ المسالك والممالك لأبى القاسم بن خرداذبه (٨٤٤ ـ ٨٤٨ زمن التأليف).

٢ ـ كتاب البلدان لأحمد بن واضح اليعقوبى (٨٧٥ ـ ٨٨٠ زمن التأليف).

٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن المسعودى (٩٤٣ زمن التأليف).

٤ ـ البدء والتاريخ لمظهر بن طاهر المقدسى (٩٦٦ زمن التأليف).

٥ ـ المسالك والممالك لأبى القاسم بن حوقل (٩٧٧ زمن التأليف).

٦ ـ مسالك الممالك لأبى إسحاق الاصطخرى (معاصر).

٧ ـ الفهرست لابن النديم (٩٨٨ زمن التأليف).

٨ ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم لشمس الدين المقدسى (١٠٠٠م زمن التأليف).

٩ ـ الآثار الباقية من القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى (معاصر).

١٠ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق لأبى عبدالله الإدريسى (معاصر).

١١ـ البيان والتبيين وكتاب الحيوان لأبى عمرو الجاحظ (المتوفى سنة ٨٦٩ م).

١٢ـ عجائب الهند بره وبحره وجزائره لبزرك بن شهريار (معاصر).

١٣ـ كليلة ودمنة لعبدالله بن المقفع (معاصر).

١٤ـ الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى (المتوفى سنة ١٠٠٩م).

١٥ـ كتاب الوزراء لعبدالله الجهشيارى (معاصر).

وغيرها كثير من المؤلفات الجغرافية والأدبية والمعرفية والأسطورية..

لقد كانت كتب الرحلات وأخبار السمار والبحار من أهم نتاجات الثقافة والفكر العربى ـ الإسلامى، التى استقت منها حكايات ألف ليلة وليلة مادتها الأساس.. وأنه منذ القرن الثالث الهجرى كانت قصص السمار الأدبية (المترجمة) تحتل مكاناً كبيراً فى الأدب العربى، وكانت الإسرائيليات وقصص البحر تقوم بدور التسلية، أما منذ القرن الثالث فقد أضيف إلى ذلك ماترجم من قصص الهند والفرس»[1].

وسرعان ماوجدنا ـ طبقاً لروح العصر ـ حتى من العلماء والمعتبرين من الأدباء من لم يجد غضاضة على مكانته، أن يؤلف أسماراً من النثر السهل،

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، المجلد الأول، ط ٤، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٦٧، ص ٤٦٧.

غايتها مجرد التسلية «ومن هذا النوع الكتب المسلّية التى ألّفها القاص التنوخى المتوفى عام ٩٩٤م، وأخيراً جاء المؤرخ الكبير مسكويه المتوفى سنة ١٠٢٩م، فألف كتاب أنس الفريد، وهو أحسن كتاب صنف فى الحكايات الصغار والفوائد اللطاف»[١]. وهكذا انتشر العديد من كتب النوادر والفروسية والعشق والحيوان والبخلاء، والشعراء والأمراء والصوفية والبطولة... «وكذلك شغلت قصص الحب بين الآدميين والجن مكاناً كبيراً»[٢]. وذكر المؤرخون أن كتب السمر التى تتداولها الأيدى بلغت حتى نهاية القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) مايقرب من سبعين كتاباً[٣].

إن أى كاتب - آنذاك - كان يروم التأليف والكتابة لابد له من أن يأخذ من فنون التأليف التى ازدهرت إبان تلك الفترة، وعلى وجه الخصوص من منتصف القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع الهجرى، سواء بشكل مباشر أو دون ذلك اهتداء بفكرة أو اتباع لسبيل مسبوق، يعالج مادته باللفظ والإخراج، دون مساءلة أو إحراج.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٦٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا مازيدرانى، طهران، (بلا)، ص ٣٠٨.

(٣) حمزة بن حسن الأصفهانى:: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ط جوتفالد، (بلا)، ص ٤١ - ٤٢.

الفصل الثانى

من الفـــرات إلى النيـــل

- يهـود بغـداد فى العـصـر العبـاسـى.
- عـراقيـة ألف ليلة وليلة.
- ألف ليلة وليلة المصـرية.
- جـغـرافيـة ألف ليلة وليلة.

يهود بغداد فى العصر العباسى

أصبحت بغداد عاصمة الخلافة العربية ـ الإسلامية وعاصمة بنى العباس منذ سنة ١٤٥ هجرية.. على عهد الخليفة الثانى المنصور بالله.. وبفترة وجيزة جداً تحولت هذه المدينة إلى مركز عالمى لجميع الأجناس والديانات والمعارف عربية ومترجمة إلى العربية والتجارات والصراعات السياسية والاجتماعية والفكرية.. ووجد اليهود كغيرهم من سكان الدولة العباسية فى هذه المدينة المفتوحة، باعتبارهم (أهل الذمة)، وبشكل عام «لم يكن يوجد فى المدن الإسلامية أحياء مختصة لليهود والنصارى بحيث لا يتعدونها، وإن آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين..»[1]. وبذلك لم يظهر فى المجتمع العربى ـ الإسلامى، إبان الدولة العباسية، ماسمى بالجيتو اليهودى الذى ظهر فى أوروبا لاحقاً.. وكان اليهود بحكم كونهم أهل ذمة، يتمتعون بتسامح وحماية المسلمين لهم، مقابل الجزية، كل واحد منهم بحسب قدرته على دفعها «وكانوا ثلاث طبقات تدفع الدنيا منها اثنى عشر درهماً،

(١) آدم متز، م. س. ذ، ص ٩٣.

والوسطى أربعة وعشرين درهماً، والعليا ثمانية وأربعين درهماً فى السنة..»[١]، على أن غالبية دافعى الجزية كانوا يدفعون الحد الأدنى، وهذا ما أكده الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى بقوله: «إن اليهود فى كل بلاد الإسلام يدفعون ديناراً واحداً»[٢]، وفى كثير من الأحيان لايدفعون شيئاً للخليفة وإنما لرأس الجالوت[*].. وفى كل الأحوال فالجزية لاتؤخذ من أهل الذمة عموماً، بل من القادرين على حمل السلاح، وذوى اليسار المالى، ويعفى منها الأطفال والنساء وأهل الدين والعاجزين لعاهة مانعة أو لفاقة دائمة..

لم يكن التشريع الإسلامى - عموماً - يقف مانعاً دون أهل الذمة، ولم يقفل أى باب من أبواب العمل دونهم.. فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء وكتبة، بل كان أصغر «دافعى الضرائب هم اليهود الخياطون والصباغون والإسكافية والخرازون ومن إليهم»[٣].

من جانب آخر، إذا تتبعنا منصب رأس الجالوت اليهودى فى (العراق) بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية حتى نهاية الدولة العباسية، باعتبار ذلك

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٩٦.. ومن المفيد الإشارة إلى أن الدينار العباسى - وهو من الذهب - كان يساوى اثنا عشر درهماً من الفضة.

(٢) بنيامين التطيلى، م. س. ذ، ص ٧٧.

(*) رأس الجالوت، معناه رأس الجالية، وهو لقب أصبح متداولاً فى العصر العباسى، وينعت به رئيس الطائفة الموسوية، وتتم مناداته من قبل المسلمين بـ(سيدنا).. للتفاصيل ينظر، أبو عبدالله الخوارزمى: مفاتيح العلوم، طبعة ليدن، هولندا، ١٨٩٥، فصل الأشراف، ص ٣٥.

(٣) أبو يوسف القاضى: كتاب الخراج طبعة بولاق، مصر، ١٨٨١، ص ٦٩.

مؤشراً على (دور) الطائفة اليهودية، فسنجد الآتى:

١ ـ على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كان يتولى رئاسة الجالوت فى العراق، (الراب بستناى بن حنيناى)(*).

٢ ـ على عهد الخليفة على بن أبى طالب، كان رأس الجالوت الراب (ماراسحاق).

٣ ـ منذ بناء بغداد سنة ١٤٥هجرية/ ٧٦٢ ميلادية، حتى خلافة القادر بالله (٩٩١ ـ ١٠٣١م) تولى رئاسة الجالوت عشرات الأسماء.. ثم توقفت هذه الرئاسة ـ مؤقتاً ـ بسبب الاضطرابات السياسية وضعف مركز الخلافة العباسية، وكان آخر رأس جالوت (الغاؤون هاى بن شريرا) المتوفى سنة ١٠٣٨م.

٤ ـ فى زمن الخليفة المقتفى لأمر الله (١١٣٦ ـ ١١٦٠م)، أعيدت رئاسة الجالوت إلى ماكانت عليه سابقاً.. فكان الراب سليمان بن حسداى، أول رأس جالوت بعد انقطاع دام لأكثر من قرن.

(*) الراب، صفة للحاخام الأكبر فى بابل (اسم العراق عند اليهود)، والرابى صفة للحاخام الأكبر فى أورشليم. أما العهود الزمنية أو المراحل فيطلق عليها اليهود اسم (الغاوونيم)، وامتد الغاوونيم فى بابل من سنة ٥٩٠ م حتى ١٠٣٠م، ومن قبله كان العهد اليهودى يسمى بالسبورائيم وامتد من عام ٥٠٠م حتى عهد الغاوونيم. آما فى أورشليم فكان العهد الأول يطلق عليه اسم التنائيم وامتد من سنة ١٠ م حتى ٢٢٠م، والعهد الثانى اسمه الامورائيم وامتد من سنة ٢٢٠ حتى ٥٠٠م. للتفاصيل ينظر، أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ١٩٤.

٥ ـ كان آخر رأس جالوت عاصر سقوط بغداد على أيدى المغول عام ٦٥٦ هجرية/ ١٢٥٨م، هو صموئيل بن دانيال بن صموئيل كوهين ابن أبى الربيع.

على الرغم من أن رأس الجالوت كان مقيماً فى بغداد، ممثلاً للخليفة العباسى أمام طائفته وبالعكس.. فإن نفوذه الدينى والسياسى كان سارياً على جميع اليهود المنتشرين فى العراق وإيران واليمن وأرمينيا وأذربيجان والقوقاز، وكذلك فى تركستان والصين وآسيا الوسطى والهند(١). أما عدد اليهود فى (العراق) قبيل سقوط الخلافة العباسية، حسبما قدره الرحالة الأورشليمى الرابى بتاحيا فهو ستمائة ألف نسمة، «أما على نهرى دجلة والفرات، فكان اليهود مجتمعين بكثرة كما كانوا بألمانيا.. على نهرى الراين والموزال»(٢). وأهم المدن العراقية إبان العصر العباسى التى فيها كثافة من السكان اليهود فهى:

أولاً : مدينة بغداد وفيها أربعون ألف يهودى..

ثانيــاً: مدينة حربة بأقصى الشمال وفيها خمسة عشر ألف يهودى..

ثالثــاً: مدينة واسط وفيها عشرة آلاف يهودى..

رابعــاً: مدينة الحلة وفيها عشرة آلاف يهودى..

خامساً: مدينة الكوفة وفيها سبعة آلاف يهودى..

---

(١) بنيامين التطيلى: م. س. ذ، ص ١٣٨.

(٢) آدم متز: م. س. ذ، ص ٨٢.

ســادســاً: مدينة نينوى وفيها سبعة آلاف يهودى..

ســـابـــعاً: مدينة البصرة وفيها ألفا يهودى(١)..

(١) بنيامين التطيلى: م. س. ذ، ص ١٣٥. ومن الجدير بالذكر، أن اليهود العراقيين المهاجرين إلى فلسطين فى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين كانوا أكبر موجات الهجرة لليهود الخارجين من الأقطار العربية، وقد تجاوز عددهم المائة وعشرون ألف يهودى.. ولا يفوقهم من حيث العدد سوى يهود المغرب.. ويهود العراق يمتازون بثروة من العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية والفنية، وخصوصاً تلك التى جاءت أو تشبه أجواء وعالم ألف ليلة وليلة العباسية، خصوصاً فى الموسيقى وقراءة المقام.. للفائدة ينظر، جيرالد دى غورى: ثلاثة ملوك فى بغداد، ط٢، ترجمة سليم طه التكريتى، منشورات مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٩٠، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (الهامش).

أين كتبت ألف ليلة وليلة؟

على الرغم من خصوصية وانفراد اليهود بسمات عقائدية لاترتبط بغيرهم، لكن يهود العصر العباسى عموماً كانوا متأثرين بسيادة العقائد الإسلامية، ومنها ما يتعلق بفكرة (العودة) للإمام القائد أو المهدى المنتظر، نظراً لتشابه ذلك مع مالديهم من إيمان بمجىء (الماشيح) فى آخر الأيام، وفقاً للرؤية الألفية، وتتلخص فكرة (المهدى المنتظر) وهو الإمام الثانى عشر محمد المهدى بن الحسن العسكرى الذى اختفى فى مدينة (سامراء) وسيظهر - بأعتقادهم - فى آخر الزمان بمدينة الكوفة، ليقتل (الدجال) ويملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً(*).. والملاحظ - بموجب دراستنا هذه - أن محنة اليهود قد بدأت أيضاً من مدينة (سامراء) على عهد الخليفة المتوكل بالله العباسى.. وإذا قارنا بين مدارس اليهود ومراكز نشاطهم الدينى والفكرى فإن مدرسة (سورا) الواقعة على طريق (الكوفة - الحلة) وفيها كبار الحاخامات (سعديا الفيومى) إضافة لتاريخها المتميز فى كتابة وتدوين التلمود، ولبعدها النسبى عن عاصمة دولة الخلافة.. عليه نحن نرجح أن كتابة ألف ليلة وليلة قد تمت فى مدرسة سورا هذه..

(*) للتوسع، ينظر كتابنا «الدين الرابع - رؤية فى الشيعة والتشيع».

ومما يزيد من أهمية هذه (المدرسة/المدينة) فى النشاط اليهودى جملة حقائق تاريخية أخرى منها:

١ ـ أنها تقع فى (القلب) من إقليم بابل القديم «إنها موضع بالعراق من أرض بابل وهى مدينة السريانيين، وقد نسبوا إليها الخمر الذى كان يعتقه اليهود فيها»(١).

٢ ـ فيها أكبر مدرسة يهودية لتخريج العلماء وكبار الأحبار، تأسست فيها منذ سنة ٢٤٧م.

٣ ـ كانت (سورا) مقراً لرئاسة الجالوت اليهودى فى العراق والمشرق، قبل انتقال هذا المقر إلى بغداد العباسيين.

٤ ـ حتى بعد انتقال مقر رأس الجالوت منها إلى بغداد، بقى للحاخام الأكبر فى (سورا) حق الأفضلية على رأس الجالوت الموجود فى بغداد، سواء فى الأفضلية الدينية أو فى انتخاب رأس الجالوت للطائفة.

٥ ـ تعتبر سورا خلاصة لتفاعل اليهودية (الأورشليمية والبابلية) لأن مؤسسها الراب (ابا اريخا) قد تلقى تعليمه على يد الحبر يهوذا الناشىء فى فلسطين، ولدى عودته سنة ٢٤٧ ميلادية قام بتأسيس مدرسة سورا التى استمرت لمدة ثمانمئة عام تمارس نشاطها حتى أغلقت فى عهد الخليفة القادر بأمر الله سنة ١٠٣٠م، لينتقل بعدها مركز اليهود العلمى ـ الفكرى من العراق إلى الأندلس.

---

(١) ياقوت الحموى: المعجم، ج٣، م. س. ذ، ص ١٨٤.

أما طوائف وفرق يهود بغداد فى العصر العباسى فهى:

١ ـ الصدوقيون: ظهرت هذه الفرقة الدينية حوالى سنة (٢٠٠ ق. م)، وهم من سلالة الكاهن صادوق، هؤلاء مؤمنون بالأسفار الخمسة للتوراة، لكنهم يتعايشون مع المجتمع غير اليهودى كأفراد.. متأثرون بالثقافة اليونانية (مدرسة الإسكندرية)، كانوا يقيمون فى ضواحى بغداد (العباسية) خصوصاً فى المناطق الجنوبية المحاذية لمنطقة سلوقية ـ المدائن.

٢ ـ الربانيون (الفريسيون): فى عام ١٦٧ ق. م انتهت ثورة المكابيين ضد الرومان وتشكل على أثر ذلك ما سمى بالنظام النوموقراطى، أى المستند إلى حكم القانون. واستمر هذا النظام حتى سنة ٧٠ للميلاد، وعن النظام النوموقراطى نشأ المجمع الدينى المعروف بالسنهدرين فى مدينة أورشليم عام ١٤١ ق. م، كان السنهدرين يتكون من سبعين حاخاماً ـ بعدد علماء بنى إسرائيل مع النبى موسى على جبل الطور ـ منهم خمسون حاخاماً ينتمون إلى الربانيين (الفريسيين) المتشددين بأمور الدين والشريعة اليهودية (المكتوبة والشفوية)، والفريسيون هم أكثر فرق اليهود، حيث كانوا يتواجدون فى عموم العراق، وخصوصاً فى بغداد، ولهم فيها (٣٢) كنيس فى الكرخ والرصافة(*). وأما العشرون حاخاماً فى السنهدرين

(*) للرقم اثنان وثلاثون عند اليهود دلالة قبالية ـ صوفية ـ مقدسة، فهو مجموع عدد الأحرف العبرية (٢٢) مع مجموع عدد الأرقام الحسابية (١٠)، فيكون هناك (٣٢) طريقاً إلى الرب (يهوه)، أفضلها الطريق العاشر المعروف (بالشيخينياه) وهو رمز أنثوى يقابله (إسرائيل).. أما اكتمال العدد فهو بالرقم (٣٣) الذى هو (يهوه)، وأيضاً هو عمر الماشيح اليهودى المنتظر من نسل النبى داود.. ولهذا أصبح للماسونية (٣٣) درجة، والدرجة (٣٣) لا تعطى إلا لمن كان يهودياً..

فكانوا من الصدوقيين(١).

٣ ـ القرائون: أول فرقة دينية ليهود العراق فى العصر العباسى، ظهرت فى القرن الثامن الميلادى على يد الحاخام (المنشق) عنان بن داود.. ويدعو هذا المذهب إلى رفض التلمود، والاكتفاء بقراءة التوراة فجاء اسمهم بالقرائين. والقرائون من المتأثرين بفكر المعتزلة الداعى إلى تحكيم العقل دون سواه(*).

---

(١) ينظر، حسن ظاظا: م. س. ذ، ص ٨١ ـ ٩٠.

(*) إلى جانب الفرق اليهودية توجد مدارس دينية متعددة أبرزها (مدرسة نهر دعة على نهر الفرات ـ مدرسة فوميدثية ـ مدرسة الماحوزى ـ مدرسة شيلهى ـ ومدرسة نهر سورا، وهى أهمها، تقع على طريق الكوفة ـ بابل، وفيها ختمت كتابة التلمود).

عراقية ألف ليلة وليلة

إن أسلوب كتابة حكايات ألف ليلة وليلة اعتمد على الآتى:

١ ـ الاستفادة من جميع النتاج الثقافى والفكرى والأدبى الشرقى القديم خصوصاً العربى ـ الإسلامى الوسيط منه، دونما أية إشارة مباشرة إلى مصدر بعينه تم الاعتماد عليه.. مع إدخال التعديل والتحريف والإضافة.. بما هو مناسب لأهداف (المؤلف) القريبة منها والبعيدة.

٢ ـ على الرغم من كل ذلك، فإن الطابع العراقى ـ العباسى ـ (البغدادى والبصرى) منه بالذات، هو السائد فى عموم الليالى.

٣ ـ لابد من التذكير بحقيقة تاريخية، وهى أن الحدود الجغرافية وغيرها من الحدود، بين أقطار المشرق العربى ـ الإسلامى، إبان عصر ألف ليلة وليلة، لم تكن موجودة.. ومن ثم فإن النتاج الثقافى والفكرى، تحت سلطان الخلافة العباسية كان مفتوحاً للجميع، لكنه من جانب آخر كان يراعى ذوق بغداد مركز السلطان والخاصة من المجتمع.

وقبل مواصلة حديثنا عن ألف ليلة وليلة، لابد من الإشارة إلى أن مقصودنا منصب على النسخة الأصلية (الأم) العراقية - العباسية من الليالى التى أشارت إليها المراجع المعاصرة، وخصوصاً ابن النديم والمسعودى والصولى، والتى لم تلق من الشهرة كما لاقت النسخة المصرية كما استقرت - اليوم - فى نسخة بولاق الشهيرة، التى منها النسخة الفرنسية المنشورة فى أوائل القرن الثامن عشر، ونسخة (كلكتا) الهندية المنشورة متزامنة مع نسخة بولاق فى أواخر القرن التاسع عشر.

نحن نرجح أن النسخة (الأم) الأصلية موجودة مع مئات المخطوطات غير المحققة التى آلت إلى الدولة العثمانية (إسطنبول) بعد سقوط بغداد على يدى السلطان سليمان القانونى عام ١٥٣٤م(*)..

إن ألف ليلة وليلة كُتبت فى «العراق»، ونستطيع - هنا - تحديد أمرين:

الأول: تاريخ الكتابة والتأليف للنسخة الأصلية، وتاريخ الانتهاء والتداول.

الثانى: جهة الكتابة والتأليف، وملابسات وظروف وأهداف ألف ليلة وليلة.

(*) الطابع العراقى مازال حتى فى النسخة المصرية المستنسخة عن الليالى الأصلية، وذلك من خلال «أجواء بغداد هارون الرشيد - أجواء البصرة البحرية - اللهجة الموصلية القريبة من لهجة يهود العراق».

بشكل مباشر نقول: إن طبيعة تأليف ألف ليلة وليلة، شبيه بطبيعة تأليف الكتب الدينية عند اليهود.. فالتوراة البابلية والتلمود البابلى، وهما أهم وأخطر كتابين يهوديين، لم يكتبا مرة واحدة، ولا فى عهد واحد.. وإنما أخذت التوراة وأخذ التلمود عدة مراحل وعهود كتابية، استغرقا عدة قرون(١). وقام بكتابة التوراة والتلمود أكثر من (قلم) وأكثر من حاخام وكاتب.. ولو أخذنا ألف ليلة وليلة سنرى شبهاً قوياً لها بطبيعة تدوين الكتب اليهودية(*).

لنعود إلى خلفية تأليف ألف ليلة وليلة ـ سياسياً واجتماعياً ونفسياً ـ ونقول: إن يهود بغداد منذ عام ١٤٥ هجرى/ ٧٦٢ ميلادى، أى فى عهد الخليفة المنصور، إلى عهد الخليفة السابع (المأمون) تمتعوا بالاستقرار الفكرى والاجتماعى باعتبارهم (أهل ذمة) تحت رعاية صاحب الذمة (الخليفة)، إضافة إلى خصوصيتهم المالية: (التجارة) والترفيهية: (الجوارى والغلمان والحانات...)، ولعل عهد الخليفة العباسى الخامس هارون الرشيد كان أكثر العهود التى مارس فيها سكان الدولة العباسية، ومن جميع الملل والنحل حياتهم بأمان ودعة وانفتاح واستقرار نفسى ومادى وثقافى...

بدأ أول متغير سياسى أدى إلى تحجيم مكانة (أهل الذمة) واليهود

---

(١) للتفاصيل ينظر، أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، م. س. ذ، ص ١٧٩ ـ ١٨٦.

(*) قام المؤلف بإحصاء المواقع التى ورد فيها اسم (يهود) وماهو مشتق عنها أو مرتبط بها.. فى حكايات ألف ليلة وليلة فوجدها تبلغ (٥٢) موضعاً أى بعدد أسابيع السنة الواحدة.. أو بعدد أيام السبت فى العام الواحد، مع ملاحظة تباين طبعات ألف ليلة وليلة لاحتمال الحذف والاختصار أو التغيير..

منهم خصوصاً، فى عهد الخليفة العاشر المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٢ - ٨٦١م) وذلك بوضع تمايز مظهرى من خلال الملابس، فخصص لكل أهل ديانة لوناً:

أولاً : المسلمون اللون الأبيض «رمز الفطرة».

ثانياً: المجوس اللون الأحمر «رمز النار».

ثالثاً: النصارى اللون الأزرق «رمز السماء».

رابعاً: اللون الأصفر، لليهود «رمز الذهب».

وكان أمر المتوكل هذا فى عام ٢٣٥ هجرية/ ٨٤٩ ميلادية. كما تم تحديد العلاقة بين سلطة الدولة وأهل الذمة، بعدة إجراءات مباشرة اختلفت عما كان عليه الحال سابقاً حتى أمر الخليفة أن «يقتصر أهل الذمة فى مراكبهم على البغال والحمير، دون الخيل والبراذين»[1]، كما أمر «ألا يستعان بأهل ذمة فى الدواوين وأعمال السلطان التى تجرى أحكامهم فيها على المسلمين»[2].

من هنا - فى تقديرنا - بدأت المرحلة الأولى فى تأليف وكتابة (مشروع) ألف ليلة وليلة، واستمرت عملية التأليف (المفتوح) إلى عهد الخليفة العباسى الخامس والعشرين القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ/ ٩٩١ - ١٠٣١م) الذى شهدت خلافته إقفالاً لمراكز الثقافة ليهود العراق، مما اضطرهم للانتقال بمركزهم الفكرى إلى الأندلس.. عند ذاك تم نشر حكايات ألف ليلة وليلة فى

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ط القاهرة، (بلا)، ص ١٤١٩. وبقى هذا التقليد وانتقل إلى مصر، وظهر فى عهد السلطان الناصر بن قلاوون.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٨٩ - ١٣٩٠.

مجالس بغداد.. كما أخذ اليهود معهم (نسخة) من الليالى، إضافة إلى ما نقلوه من كتب ومخطوطات(*). ومما يدل على أن الليالى كانت معروفة إشارة عدة مصادر موثوقة إلى ذلك، «وكان معروفاً - أى كتاب ألف ليلة وليلة - فى الأندلس منذ القرن الثالث عشر المسيحى.. وأشار المقرى أن نسخاً منه كانت موجودة فى الأندلس منذ عهد طويل.. وأشار مؤلف تاريخ الأدب العربى بالأندلس كنثالثبلنثيا، إلى أن كتاب السندباد والوزراء السبعة ترجم إلى الإسبانية، فى عهد مبكر، وأن الجارية (تودد) كانت معروفة منذ القرون الوسطى»(١).

وبذلك - نرى - أن النسخة الأندلسية التى اصطحبها اليهود معهم، إنما هى، أقرب النسخ للكتاب (الأم) العراقى من النسخة (المصرية)، التى ظهرت بعد ذلك، ومازالت هى المعتمدة فى الطبع والنشر والقراءة.. وربما نقلت النسخة الأندلسية هذه إلى (المغرب) فيما بعد...

وإذا نظرنا بين تقديرنا بشأن تأليف الليالى ونشرها مع بداية خلافة القادر، وهى سنة ٩٩١م، مع ما ذكره أدق كاتب معاصر لزمن إذاعة الليالى، وأعنى به ابن النديم فى كتابه (الفهرست الذى فرغ من كتابته سنة ٣٧٧هـ/ ٩٩٥م)، أى بعد أربعة أعوام على ظهور كتاب الليالى.. فنكون قد حددنا بالضبط (زمن) التأليف النهائى وزمن النشر معاً.

(*) يبدو أن من عادة اليهود فى (الخروج) حمل الذهب والكتب معهم.

(١) محمود طرشونة: مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨، ص ٧٩ - ١٤٣.

إن ابن النديم هو الكاتب الوحيد الذى أشار صراحة إلى وجود (ألف ليلة وليلة) وأنه رآها بنفسه « .. يحتوى على ألف ليلة وعلى دون المائتى سمر، لأن السمر ربما حدّث به فى عدة ليال، وقد رأيته بتمامه دفعات..»(١).

وأما جهة الكتابة والتأليف وملابسات وظروف وأهداف الكتابة، فنحن نرى أن (سنهدرين يهود العراق) بإشراف رأس الجالوت.. كانوا وراء تأليف الليالى وقد ساهم بوضع الأسس لهذا (المشروع) الغاؤون سعيد بن يوسف الفيومى(*) الذى اختار الإقامة بين بغداد والكوفة إبان عهد الخليفة السادس عشر (المعتضد ٨٩٢م) والذى اشتهر بتسامحه مع اليهود، وأجزل للفيومى العطاء.. ولعل هذا من بين الأسباب غير المنظورة التى ساهمت فى جعل بنية الليالى جامعة للظرافة المصرية إلى جانب شخصيتها العراقية ـ العباسية.. وعلى كل حال فإن تناول جميع الأشكال والأمزجة والطباع السياسية والاجتماعية والثقافية، فى حكايات ألف ليلة وليلة، ودون تميز، يؤيد أن جهة التأليف لم تكن تشعر بالانتماء إلى شكل محدد لتنحاز إليه، ولم تكن تلك الجهة التى تشارك مع الجميع دون انتماء سوى اليهود...

---

(١) ابن النديم: م. س. ذ، ص ٣٦٣.

(*) سعيد أو سعْديا بن يوسف الفيومى، ولد فى مصر سنة ٨٦٢ م، ثم هاجر إلى بغداد، وقام بأول ترجمة عربية للتوراة (البابلية).. أصبح رئيساً لمدرسة سورا التى اشتهرت بكتابة التلمود البابلى.. حتى وفاته عام ٩٤٤م. يعد من كبار علماء وفلاسفة اليهود فى العصور الوسطى. للتفاصيل ينظر، أحمد سوسة: الملامح، م. س. ذ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

ألف ليلة وليلة المصرية

أصبحت حكايات ألف ليلة وليلة، ذائعة الصيت، محببة إلى الناس والنفوس، لما فيها من ظرافة وخفة وملاحية، وتنوع سهل، وصور جذابة، وفكاهة تصلح لسمر الليل وهدأة النهار.. ففيها الغرام والمدام، وفيها النساء والرجال وفيها الملائكة والشياطين، والشرفاء والمحتالون، وفيها الدين والدنيا.. وفيها الواقع والخيال، وفيها النقد والتقريض، وفيها الكنوز التى تكاد تلمس، والعفاريت التى تكاد تحس، وكل ما له علاقة بالحظ والنحس، والمال الذى يوشك أن يكون بين يديك، كالسراب يحسبه العطشان ماء.. وفيها التجارة والمغامرة، والسياسة والمصاهرة، والغدر والمجاهرة، والحسن والمقابحة، فأى كتاب فيه مثل مافى ألف ليلة وليلة؟ من هنا جاء انتشار الليالى وانتقالها - إضافة إلى أسباب أخرى - إلى خارج بغداد...

لكن مكانة بغداد، فى أواخر العصر العباسى بدأت تأفل، خصوصاً من الناحية السياسية، مما انعكس على الازدهار الفكرى المرتبط بها، والذى انطلق إلى البروز فى أقاليم أخرى غير العراق، وهنا يمكننا تأشير عدة حقائق لها علاقة بموضوعة ألف ليلة وليلة، هى:

١ ـ مقدمات الغزو الصليبى لبلاد الشام وفلسطين، والذى استمر حتى نهاية القرن الثالث عشر (١٢٩١م).

٢ ـ أن نفس الفترة ـ أعلاه ـ شهدت إقفال جميع المراكز الفكرية اليهودية، فى الدولة العباسية.

٣ ـ وأن نفس الفترة أيضاً، شهدت تعاظم الدولة الفاطمية، بعد انتقالها إلى عاصمتها الجديدة فى مصر (القاهرة)، التى بناها الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، فكانت فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠٢١م) تنافس بغداد العباسيين.. وهى نفس الفترة المعاصرة لظهور ألف ليلة وليلة.

٤ ـ وفى نفس الفترة ـ أعلاه ـ كان انتقال المركز الفكرى الأساس لليهود من «العراق» إلى الأندلس، التى كانت هى الأخرى تشهد نهاية الدولة الأموية الأندلسية على عهد الخليفة هشام الثالث الملقب بالمعتد بالله (٤٢٠ ـ ٤٢٢هـ/ ١٠٢٩ ـ ١٠٣١م) الذى أعقبه ظهور (عصر الطوائف)، أثر هذا السقوط.

٥ ـ فى آسيا الوسطى كان سقوط السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين (٩٩٨ ـ ١٠٣٠م) بداية لانشطارات متوالية تعرض لها الجناح الشرقى للخلافة العباسية المتينة، والمترامية الأطراف..

وبالنتيجة التاريخية، أصبحت مصر وعاصمتها الجديدة (القاهرة)، من أبرز الأمصار والمراكز السياسية والثقافية، التى كانت فى تلك الفترة

كبداية، واستمرت تشغلها (مصر) طوال العهدين، الأيوبى والمملوكى(*).

وهكذا أصبحت القاهرة حاضرة الفاطميين المحطة الجديدة لحكايات ألف ليلة وليلة، ومما يجدر ذكره فى هذا المقام، الآتى:

١ ـ العلاقة الوثيقة جداً بين حكام الدولة الفاطمية بمصر والشخصيات اليهودية حتى كان رأس الجالوت يسمى فى مصر (سرهاريم ـ أى أمير الأمراء، وكان يعين أحبار اليهود فى الشام ومصر، أى فى حدود مملكة الفاطميين)[1].

٢ ـ تنامى مكانة (ألف ليلة ليلة) وانتشارها الكبير فى مصر، بعد إدخال الكثير من التعديل والإضافة إلى النسخة العراقية ـ الأم، المؤلفة فى عهد العباسيين..

ويموجب إحصاء تقديرى أجراه الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى فى القرن الثانى عشر، أشار فيه إلى أن عدد اليهود فى مصر، عند أواخر الدولة الفاطمية هو:

أولاً: فى مدينة القاهرة يوجد سبعة آلاف يهودى..

ثانياً: فى مدينة الإسكندرية يوجد ثلاثة آلاف يهودى..

ثالثا: فى مدن الدلتا، يوجد نحو ثلاثة آلاف يهودى..

رابعاً: فى مدن الصعيد، يوجد نحو ستمائة يهودى[2]..

(*) للتفاصيل عن هذين العهدين ينظر، آدم متز: م. س. ذ، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(١) بنيامين التطيلى: م. س. ذ، ص ٩٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

لقد نشأت بين الفاطميين واليهود علاقة وطيدة تختلف عما كان سائداً في عهود الخلافة العباسية ببغداد وأقاليم الشرق الإسلامى آنذاك.. ويرجع البعض العلاقة الفاطمية ـ اليهودية إلى أمرين:

(أ) علاقة الزواج والمصاهرة بين بعض الخلفاء الفاطميين ونساء أهل الذمة. وعلى وجه الخصوص من اليهوديات الجميلات.. كما حصل للخليفة العزيز الفاطمى(1).

(ب) العلاقة الفكرية من خلال تأثر الفاطميين بالفكر اليهودى، حتى إن السيوطى ـ مثلاً ـ رفض تدوين تاريخ الدولة الفاطمية، لأنها وفق تقديراته الدينية، دولة (يهودية) أكثر مما هى مسلمة(2). وربما أن وراء مثل هذه العلاقة المتميزة مصالح تجارية ومالية كبيرة مشتركة بينهما(3).

وهكذا (أظهر خلفاء الفاطميين الأوائل لأهل الذمة تسامحاً نعجب له، إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم، لهم مذهب خاص، انفردوا به وخالفوا به جمهور المسلمين، فقد كان للخلفاء الفاطميين أطباء من اليهود.. وعظم نفوذهم حتى صار لا يعمل شىء فى بلاط المعز إلا بمعونة اليهود، عرف ذلك الوزير الداهية ابن كلس الذى كان يهودياً، فأسلم، وصار يتحيز إلى إخوانه فى الدين من قبل)(4). ولم يخفف من غلواء العلاقة بين الخلفاء الفاطميين

---

(١) المقريزى: الخطط، ج٢، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٧٠ هجرية، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) السيوطى: حسن المحاضرة، ج٢، طبعة بولاق، القاهرة، (بلا) ص ١١٧.

(٣) يحيى بن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، طبعة ليدن، هولندا ١٨٩٨، ص ٨١ ـ ١٠٨.

(٤) آدم متز: م. س. ذ، ص ١١٢ ـ ١١٣.

ويهود مصر، سوى ثورة العامة من الناس، الذين وجدوا فى هذا التحالف، تهديداً لأمر الدين والدنيا، فرفعوا (الرقع) فى طريق بعض الخلفاء، كما حدث مع الحاكم بأمر الله(١). ولكن هذا الشأن من التحالف السياسى ـ المصلحى ظهر من جديد، حينما تم استيزار (أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى) وكان يهودياً فأسلم.. وكان يعاونه ويدبر أمر الدولة أبو سعيد التسترى اليهودى للفترة من (٤٣٦ ـ ٤٣٩هـ/ ١٠٤٤ ـ ١٠٤٧م) ولذلك قال الشاعر المصرى الحسن بن خاقان قصيدته بهذا الشأن، ومنها:

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهمو
ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إنى نصحت لكم
تهودوا، فقد تهود الفلك(٢)

وبذلك ترسخت (يهودية) ألف ليلة وليلة ـ رسمياً ـ أكثر من ذى قبل، على أيدى يهود مصر وبدعم من الفاطميين.

أما الإضافات والتعديلات من التراث ـ الشعبى ـ المصرى فبدأت تدخل إلى بنية حكايات الليالى منذ عهد الدولة الأيوبية، وهى الخاصة بالصراع

(١) يحيى بن سعيد: م. س. ذ، ص ١٢١ ـ ١٣١.
(٢) السيوطى: م. س. ذ، ص ١١٧.

ضد الصليبيين، لكن فى زمن المماليك كانت هذه الإضافات والتعديلات هى الأوسع، وبسببها بدت نسخة ألف ليلة وليلة ـ التى ظهرت فى العصر الحديث ـ ذات ثوب (إسلامى) أكثر مما هى غير ذلك، وكان هذا التغيير (المصرى) فى العهدين: الأيوبى والمملوكى، قد تم بطريقتين مباشرتين:

الأولى: حذف حكايات وليالٍ بكاملها من النسخة الأصلية (العراقية) ومثيلتها النسخة (الفاطمية)، واستبدالها بحكايات أيوبية ومملوكية بحتة، وهو مايظهر حتى اليوم فى عدم تناسق حجم (الليالى) وتباينها فى الطول والقصر..

الثانية: إدخال طرف من حكايات ووقائع شعبية محددة إلى بعض الحكايات والليالى الأصلية..

وهكذا تمت عمليتا (التزييف والتزوير) معاً فى مصر المملوكية، وأصبحت ألف ليلة وليلة (أقل يهودية) وأكثر إسلامية مما كانت عليه النسخة (العراقية) ومثيلتها النسخة (الفاطمية). ولقد ساعد عدم وجود (اسم مؤلف) محدد لليالى على هذا (التكييف).. لذا تتكون (الطبقة المصرية من الحكايات التى أضافها رواة محترفون، خلافاً للنسخة البغدادية، التى قام بها كُتّاب، فهؤلاء الرواة ضخموا حجم الكتاب بقصص عربية، فيها الكثير من التقاليد الإسلامية..»[1].

وبالمحصلة يمكننا تقسيم هذه المرحلة (المصرية) إلى ثلاثة أدوار هى:

---

(١) محمود طرشونة: م. س. ذ، ص ٩٥.

١ ـ الدور الفاطمى، وفيه رويت حكايات متأثرة بمذهب الباطنية، فكثر الحديث عن الطلاسم والسحر والجن .. المأخوذ أصلاً عن الإسرائيليات..

٢ ـ الدور الأيوبى، وفيه رويت قصص البطولة والحروب..

٣ ـ الدور المملوكى، وفيه رويت الحكايات عن أهل المدن والشطار[١].

إن الملاحظ عليه أن الإضافات (الأيوبية والمملوكية) تمثل مايقرب من نصف كتاب ألف ليلة وليلة، وتمت بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين، أى القرنين الحادى عشر والسادس عشر الميلاديين(*).. وربما هذا هو الذى دفع بعض المستشرقين إلى القول إن لكتاب ألف ليلة وليلة مؤلفين:

الأول: مصرى (مسلم) وتنسب إليه كل الحكايات المصورة للحياة الاجتماعية فى مصر.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٩٥. وفى تقديرنا، أن نهاية أية إضافة أو تعديل قد توقف نهائياً، واستقرت (ألف ليلة وليلة) حسب النسخة المصرية المعروفة، مع دخول القوات العثمانية إلى القاهرة سنة ١٥١٧م، بعد انتصارها على المماليك.

(*) شهدت ألف ليلة وليلة سقوط عواصم حضارة القرون الوسطى الكبيرة:
١ ـ بغداد على أيدى التتار. ٢ ـ دمشق على أيدى التتار. ٣ ـ القدس على أيدى الفرنجة. ٤ ـ القسطنطينية على أيدى الأتراك. ٥ ـ قرطبة على أيدى الأسبان. ٦ ـ القاهرة على أيدى الأتراك. على التوالى، فهل ذلك السقوط العظيم يوازى سقوط (أورشليم) على أيدى البابليين؟ ومن الملاحظ أن مركز اليهود الفكرى انتقل من الأندلس إلى (إنكلترا)، ومنها ـ لاحقاً ـ انتقل إلى العالم الجديد قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية، مع موجات المهاجرين الانكلوسكسون (البيورتان).. وهكذا حطت ألف ليلة وليلة رحالها فى أمريكا..

الثاني: يهودى مصرى (أعلن إسلامه)، ويسمونه إبراهيم بن ميمون، عاش قبل سنة ٩٢٤ هجرية/ ١٥١٨ ميلادية، وهو الذى أدخل الإسرائيليات إلى الليالى[١]. وقد روى إبراهيم بن ميمون الحكايات التى «تتحدث عن يهود اعتنقوا الإسلام، وذكر النبى سليمان والقدس ورقم (٧) وكثيراً من الخوارق، وضخم الأعداد، وهى ظاهرة موجودة فى الحكايات اليهودية..»[٢].

ولعل أهم مايميز النسخة العراقية عن النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة، أن النسخة العراقية (الأصل) من عمل كُتّاب مؤلفين، مما يظهر فيها أثر الصنعة والتأليف والابتكار، أما النسخة المصرية (الظل) من عمل رواة، مما يظهر أثر الاقتباس والتكلف والحشر الفنى غير المترابط بما قبله وبما يأتى من بعده.. وهذا أيضاً ما أثاره بوضوح الأديب العربى الكبير أحمد حسن الزيات عند تقييمه لكتاب ألف ليلة وليلة[٣].

---

(١) محمود طرشون: م. س. ذ، ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠.

(٣) جمال الدين الألوسي: الزيات فى العراق، ط١، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧١، ص ٢٥٥ ومابعدها.

جغرافية ألف ليلة وليلة

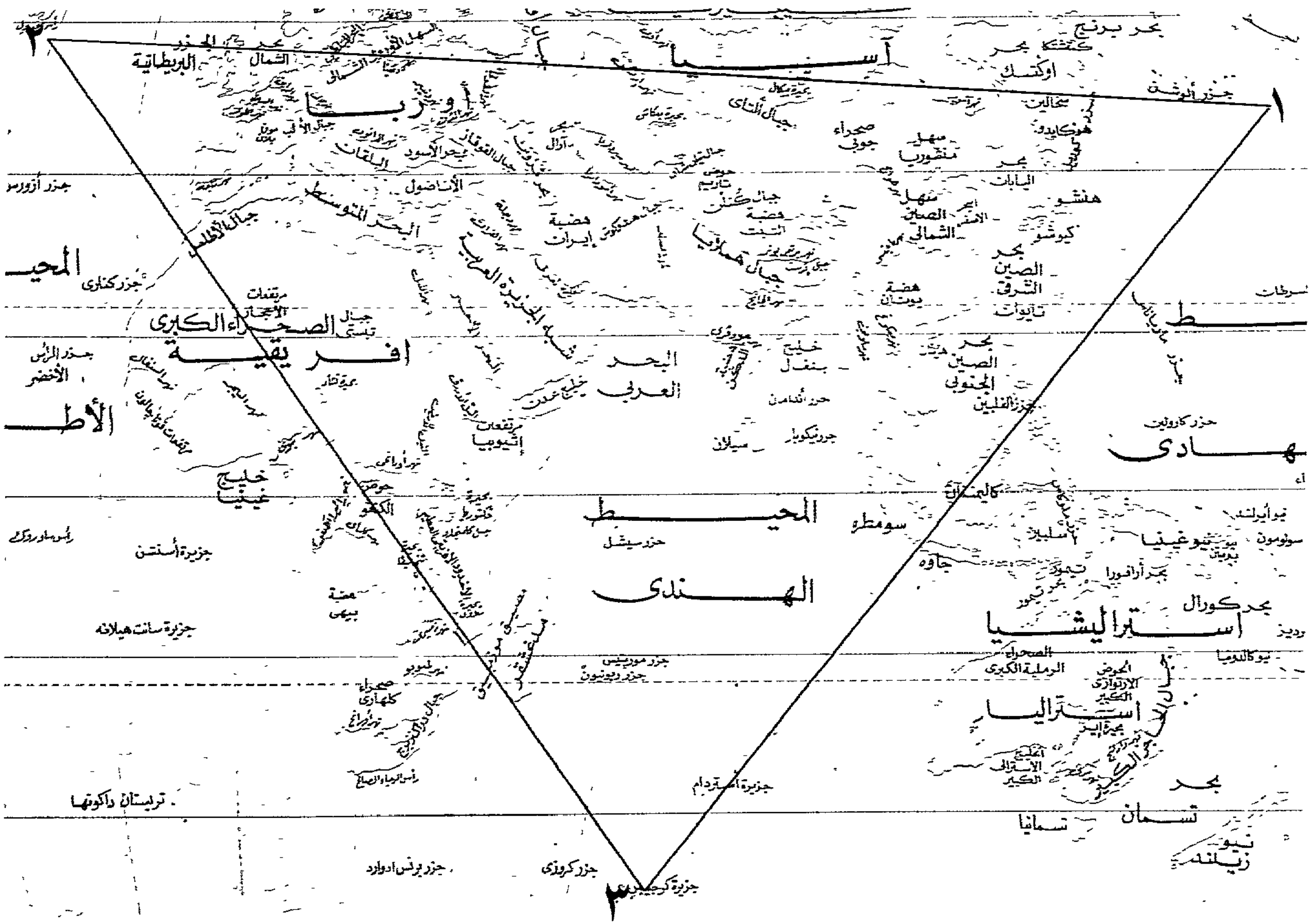
سنتناول فى هذا المبحث، جانبين أساسيين، يتعلقان بالمفهوم المكانى، الجغرافى لألف ليلة وليلة، بعد أن تناولنا - فيما سبق - جوانب متعددة.. تتعلق بالمفهوم الزمانى - التاريخى - وهما:

١ - جغرافية حكايات الليالى بين قارات العالم القديم.

٢ - جغرافية انتقال ألف ليلة وليلة.. ابتدأ من بغداد.

ففيما يتعلق بأولاً، فلو ألقينا نظرة على جغرافية العالم القديم (قارات آسيا - أفريقيا - أوروبا) لتمكنا من تحديد جغرافية ألف ليلة وليلة، وحركة شخوصها وأبطالها الأساس ضمن الأماكن التى ذكرت فى الليالى، وذلك على شكل (مثلث مقلوب) يحصر بين أضلاعه الثلاثة تلك المناطق الجغرافية، وتقع رؤوس أضلاعه وزواياه الثلاثة فى نهاية وتخوم تلك المنطقة وأطرافها النائية، وكما فى الخريطة الآتية:

(صـــــــورة للخريطة ص ٧٤)


آسيا
أوربا
إفريقية
المحيط الهندى
المحيط الأطلسي
المحيط الهادى
استراليشيا
استراليا
البحر العربي
البحر المتوسط
الصحراء الكبرى
البريطانية
بحر الشمال
بحر برنج
بحر أوكتسك
جزر أزورس
جزر كنارى
جزر الرأس الأخضر
خليج غينيا
جزيرة أسنشن
جزيرة سانت هيلانه
تريستان داكونها
جزر برنس ادوارد
جزر كروزى
جزيرة كرجيلين
جزيرة أمستردام
جزر موريشيس
جزر ريونيون
جزر سيشل
سيلان
سومطره
جاوه
كاليمنتان
جزر الفلبين
بحر الصين الجنوبي
بحر الصين الشرقي
بحر الصين الشمالي
هضبة إيران
هضبة التبت
هضبة يونان
جبال همالايا
جبال ألتاى
صحراء جوبى
سهل منشوريا
البابان
هنشو
كيوشو
خليج بنغال
الأناضول
البحر الأسود
البلقان
بحر آرال
جبال الأطلس
مرتفعات إثيوبيا
خليج عدن
صحراء كلهارى
بحر كورال
بحر أرافورا
بحر تسمان
تسمانيا
نيوزيلنده
نيوغينيا
سولومون
الصحراء الرملية الكبرى
جزيرة
تايوان

أى أن حدود هذه الخريطة تقع وفق الآتى:

١ ـ الرأس الأول لزواية المثلث يقع فى المحيط الهندى..

٢ ـ الرأس الثانى لزاوية المثلث يقع عند تخوم جزر اليابان وما جاورها..

٣ ـ الرأس الثالث لزاوية المثلث يقع عند تخوم الجزر البريطانية وما جاورها..

وبذلك فإن جغرافية ألف ليلة وليلة تضم بحراً الآتى:

أولاً: المحيط الهندى.

ثانياً: جانباً من المحيط الأطلسى (بحر الظلمات).

ثالثاً: البحر المتوسط (بحر الروم).

رابعاً: البحر الأحمر (بحر القلزم).

خامساً: البحر الأسود.

سادساً: بحر قزوين.

سابعاً: الخليج العربى.

ثامناً: خليج البنغال.

تاسعاً: بحر الصين.

عاشراً: أنهار دجلة والفرات والنيل والسند وجيحون وسيحون وأورال واليانجى.

لقد شكل (البحر) القاسم المشترك الأعظم لمعظم الرحلات فى ألف ليلة وليلة... فالبحر (لامكان) لأنه لانهائى، واتساعه «يعنى تعميمه، فإذا ماحسبنا، مكاناً أمكننا القول: إنه مكان قبلى، متشكل قبل مرحلة العلم، وقبل الوعى به. وعندما يكون هكذا ينتمى البحر إلى الكليات والأمكنة اللامحدودة التى تحمل لواء الأفكار الغرائبية والأسطورية»[1]، وهذا الفهم جد قريب من منطلقات اليهود اللاتاريخية واللاجغرافية فى التعامل مع المكان والزمان، وجعلهما غير محددين بنقطة واضحة رياضياً، مثل مفهومهم عن (سبت التاريخ) الذى يعنى نهاية التاريخ[2]..

أما جغرافية ألف ليلة وليلة براً فتضم الآتى:

أولاً: إقليم العراق.

ثانياً: إقليم بلاد الشام وفلسطين.

ثالثاً: إقليم مصر.

رابعاً: إقليم السودان وبلاد النوبة.

خامساً: إقليم أفريقيا (السوداء).

سادساً: إقليم المغرب.

---

(١) للتفاصيل ينظر، ياسين النصير: تحولات المكان فى سفرات السندباد السبع، مجلة التراث الشعبى، العدد الأول، بغداد ١٩٩٣، ص ٧٠.

(٢) عبدالوهاب المسيرى: الفردوس الأرضى، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص ٧ - ١٢.

سابعاً: إقليم الجزيرة العربية واليمن.

ثامناً: إقليم الأناضول.

تاسعاً: إقليم بلاد فارس.

عاشراً: إقليم الهند.

أحد عشر: إقليم ماوراء النهر وآسيا الوسطى.

اثنا عشر: إقليم الصين.

ثلاثة عشر: إقليم جنوب شرقى آسيا.

أربعة عشر: إقليم اليابان.

خمسة عشر: إقليم بلاد الفرنجة.

وأما (المدن) فى الليالى فعديدة ومتنوعة، وترتبط بواقعة محددة، وهو ما نلاحظه بوضوح فى رحلات السندباد على وجه الخصوص، وفلسفة وجود المدينة ضمن جغرافية الليالى (بحراً أو براً) وبالذات بالقرب من إحدى الجزر النائية.. تعطى لرؤية الحكاية فى ألف ليلة وليلة سحر عالمها الخاص بها المرتبط بالسوق والتجارة والحركة اليومية.. «فكل المدن تقع فى طرف بعيد من الجزيرة، والطريق الموصل إليها يتم بمساعدة أحد أفراد هذه المدينة.. الذى يصطحبه معه، ويعرفه على ملك تلك المدينة، ويروح السندباد راوياً له حكايته، ثم نجده وقد اندمج بسكان المدينة، وتحول إلى واحد منهم، يبيع الأشياء ويشتريها»(١).

(١) ياسين النصير: م. س. ذ، ص ٧٩.

أما جغرافية انتقال ألف ليلة وليلة فكان الآتى:

١ ـ أن النسخة العراقية، كان خط سيرها الأساسى فى الحكايات:

(أ) شرقاً...

(ب) جنوباً(١)...

٢ ـ أن النسخة المصرية، كان خط سيرها الأساسى فى الحكايات:

(أ) غرباً...

(ب) شمالاً...

٣ ـ أن أول نسخة من الأصل العراقى انتقلت إلى خارج حدود الدولة العباسية كانت باتجاه الأندلس عبر بلاد الشام ـ البحر المتوسط ـ الأندلس.. حملها اليهود معهم بعد إغلاق الخليفة القادر بالله العباسى لمراكز نشاطهم الفكرى، وهذه النسخة (الأندلسية) هى الأقرب إلى الأصل العراقى، ومن الأندلس انتقلت بعد عام ١٤٩٢م إلى العالم الجديد مع المهاجرين البيورتان الإنكليز.

٤ ـ وعن النسخة الأندلسية جاءت النسخة المغربية، خلال عهد (دول الطوائف).

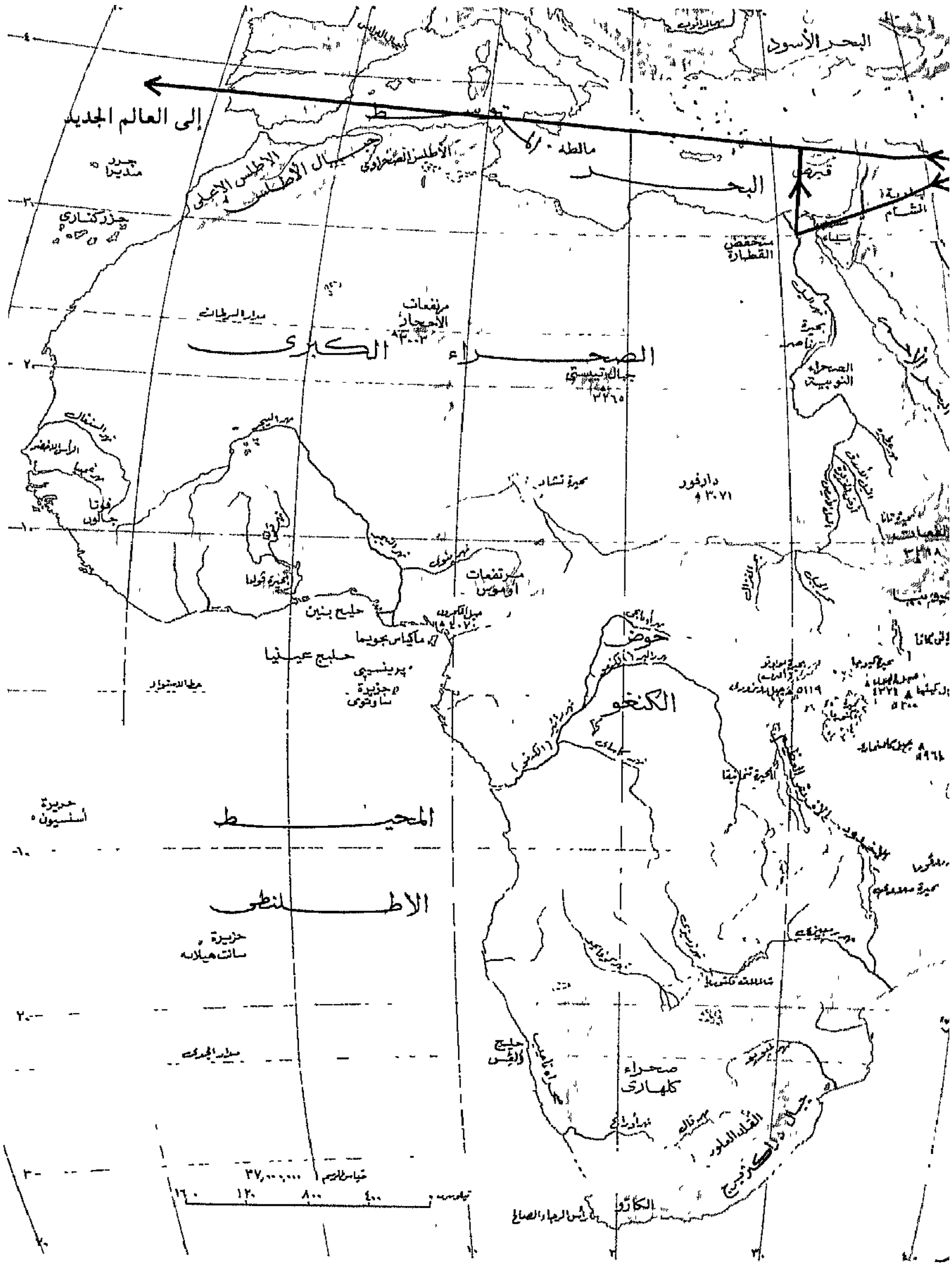
---

(١) إن هذا التقسيم (شرقاً/جنوباً) يتفق مع ماجاء فى التوراة بشأن تسمية بلاد العرب.. فقد كان أول اسم عرفت به بلاد العرب (بلاد الشرق) ثم سميت بعد ذلك (بلاد الجنوب)، وقد استعمل هذين الاسمين نبى الله إبراهيم الخليل. للتفاصيل ينظر، سيد مظفر الدين نادنى: التاريخ الجغرافى للقرآن، ترجمة عبدالشافى غنيم عبدالقادر، منشورات لجنة البيان العربى، القاهرة ١٩٥٦، ص ٦١. كذلك، التوراة: سفر التكوين، ج٢، ص ٦٠.

٥ ـ أما النسخة المصرية الأولى فى العهد الفاطمى فقد جاءت من بغداد عبر بلاد الشام.

٦ ـ أن النسخة العراقية نرجح أنها موجودة ضمن المخطوطات المكدسة فى دور الحفظ التركية، بعد أن استولى العثمانيون عام ١٥٣٤م على مدينة بغداد وقد رأيت فى إحدى زياراتى لمدينة إسطنبول التركية نفائس الدولة العثمانية مثل مقتنيات السلاطين (مرمية) فى أماكن لا تصلح لحفظها كقيمة تاريخية. كما زرت إحدى دور حفظ الوثائق العثمانية، فرأيتها مبعثرة لايمكن الاستفادة منها، بينما دور حفظ الوثائق الأسبانية، كما رأيتها فى إقليم الأندلس تتباهى بموجوداتها حتى تلك التى لا تستحق الحفظ والأرشفة كقيمة تاريخية كبيرة.

(صـــورة للخريطة ص ٨٠)



إلى العالم الجديد
البحر الأسود
مالطة
البحر المتوسط
قبرص
بادية الشام
منخفض القطارة
جزر مديرا
جزر كناري
الأطلس الأعلى
جبال الأطلس
الأطلس الصحراوي
مرتفعات الأهجار
الصحراء الكبرى
جبال تيبستي
٣٢٦٥
بحيرة ناصر
الصحراء النوبية
بحيرة تشاد
دارفور
٣٠٧١
فوتا جالون
خليج بنين
خليج غينيا
برينسيبي
جزيرة ساوتومي
حوض
الكنغو
جزيرة أسنسيون
المحيط الأطلنطي
جزيرة سانت هيلانه
خليج والفس
صحراء كلهاري
الكارو
مقياس الرسم ٣٧,٠٠٠,٠٠٠
١٦٠٠ ١٢٠٠ ٨٠٠ ٤٠٠

إن جغرافية ألف ليلة وليلة أكدت لنا الآتى:

١ ـ إنها رؤية شاملة لشؤون الحياة الإنسانية ـ براً وبحراً ـ على اختلاف تضاريسها ومناخها وسكانها، وعلى الرغم من هذا التباين، هناك وحدة موضوع.

٢ ـ إن ألف ليلة وليلة تمثل إنجازاً كونياً، يلتقى فيه المطلق بالنسبى مرة واحدة.

٣ ـ إن هذه السمة الجغرافية القائمة على المغامرات ذات البطولات الفردية مثل (السندباد) والمحققة للنفع الذاتى، تشير إلى (صرخة الحرية) التى يتطلع إليها مؤلفو الليالى بعد أن تم تضييق الخناق عليهم زماناً ومكاناً.

٤ ـ إن عالمية أو كونية ألف ليلة وليلة، هى أول مشروع لقيام الدولة الأممية، أو العالمية «العولمة»، التى تبيح للفرد كل (المحرمات) السياسية والاجتماعية والثقافية، بدون رقيب أو رادع أو سلطان، لأنها لا تنتمى لأحد.

٥ ـ هناك شخصيتان أساسيتان تتميز بهما حكايات الليالى هما:

(أ) النبى سليمان عليه السلام.

(ب) الخليفة هارون الرشيد.

أما باقى الملوك والوزراء والولاة فإن إيرادهم يكون هامشياً وثانوياً

ومحدداً جداً بموضعه من الحكاية[1]، ألا يدل هذا على أن العالم الفسيح يجب أن يقسم إلى نصفين:

الأول: عالم الروح والخلود الدائم الذى جسّده النبى سليمان بن داود عليه السلام.

الثانى: عالم المتعة الفانية والترف الذى جسّده الخليفة هارون الرشيد.

وأليست هذه القسمة هى صلب الرؤية اليهودية ـ التلمودية للأمم والشعوب؟

اليهود مركز العالم الدائم الذى لا يفنى، والأغيار أو الجوييم من غير اليهود، هم الإطار المتجدد لأنه يفنى، الذى يحيط بهذا المركز المقدس.. أى بمعنى أن الدين على الطريقة اليهودية محروساً بسياسة الآخرين، كل حسب عصره وظرفه الزمانى والمكانى..

إذن جغرافية ألف ليلة وليلة العالمية إلغاء لحقائق الزمان والمكان، وتداخل بين المطلق والنسبى.. فبعد سقوط (أورشليم) لابد من سقوط كل الحدود الأخرى، حتى يأتى يوم الخلاص الأكبر على يدى الماشيح المنتظر[2]...

---

(١) أحمد محمد الشحاذ: الملامح السياسية فى حكايات ألف ليلة وليلة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٧٧، ص ١١٧ ـ ١٥٥.

(٢) جمال البدرى: الماشيح الصهيونى ـ دراسة تحليلية فى القيادة الإسرائيلية، بغداد، (بلا).

الفصـــل الثالـث

الإسرائيليات فى ألف ليلة وليلة

- الإعــلام والســيـاســة.
- المــــال والتـــجـــارة.
- الجـــنـــس والمـــــــرأة.
- الســـحـــر والأســــطـورة.

الإعـــلام والسـياســـة

إن مفهوم الإسرائيليات كما نقصده هنا، مظهر له أركان خاصة به لتحقيق الفكرة اليهودية، والقائمة استراتيجياً على أساسين:

١ ـ المركز: وهو اليهود فى أورشليم الكبرى.

٢ ـ المحيط: وهو غير اليهود ليكونوا فى خدمة المركز.

وبذلك فإن الإعلام والسياسة فى ألف ليلة وليلة، أول الأركان الأربعة لتحقيق هذا المفهوم وهذه الفكرة، وذلك فى أربعة جوانب هى:

الأول: تمجيد الفعل والشخصية التى يراها اليهود إيجابية فى مجمل مواقفها وسياساتها، لتحديد التعامل معها لاعتبارات سياسية وتاريخية.

الثانى: تقبيح الفعل والشخصية التى يراها اليهود سلبية فى مجمل مواقفها وسياساتها، لتحديد التعامل معها، لاعتبارات عملية وواقعية.

الثالث: إبراز الفعل والشخصية الإيجابية لتأخذ مكانها ومكانتها السياسية، والاجتماعية، إذا كانت من الدرجة الثانية أو الثالثة، من خلال

خلق رأى عام ضاغط على صاحب السلطان الأول، لالتزام هذا الفعل أو تلك الشخصية، باعتبار ذلك استجابة لرغبة الرعية وتقرباً إليهم(*).

الرابع: طمس الفعل والشخصية السلبية لمنعها من أن تأخذ فرصتها الأفضل مستقبلاً، أو على الأقل تحجيمها تحت (دعاية) أنها غير مرغوبة من قبل الرعية، وسط إشاعات مغرضة ومتواصلة تجبر السلطان على إبعاد ذلك الفعل أو تلك الشخصية من التأثير أو الاستمرار فى التأثير لاحقاً.

لو دققنا فى معظم الشخصيات السياسية من ملوك ووزراء وولاة فى حكايات ألف ليلة وليلة، لوجدنا ذلك جلياً.. بل إن نسبة هذا الركن لتبلغ أعلى نسبة من الحكايات.. ففى إحصائية رياضية وجدنا أن نسبة الحكايات التى تتعلق بالملوك تبلغ ٢١ حكاية، وبذلك فهى تشكل النسبة الأعلى بين موضوعات الليالى إذ تبلغ ٢٨.٣٪(١).

إن الملاحظة الجديرة بالذكر والانتباه، أن جهة تأليف ألف ليلة وليلة، ركزت على إيراد صفة (الملوكية) حول معظم الحكام الذين ورد ذكرهم فى الحكايات، فى الوقت الذى كتبت فيه الليالى (بداية ونهاية) تحت ظلال خلافة

(*) جماعات الضغط أو اللوبى أبرز وسائل اليهود لتحقيق تأثيرهم المطلوب، كما هى (أيباك) أكبر جماعات الضغط اليهودى اليوم فى الولايات المتحدة، وجماعة (ليكرا) فى فرنسا..

(١) خليل أحمد خليل: تطور الأسطورة فى الفكر العربى، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠، ص١١٨.

بنى العباس، والحاكم يسمى (خليفة ـ أمير المؤمنين) وليس ملكاً... وحتى النسخة المصرية التى تختلف عن النسخة العراقية، كانت تحت حكم الخلفاء الفاطميين والسلاطين الأيوبيين والمماليك، فلماذا كانت نسبة ذكر لقب (الملوكية) هى الشائعة فى حكايات الليالى، إذن؟

الجواب فى تقديرنا، أن ذلك له ارتباط بالفكر السياسى لليهود ـ آنذاك ـ فهذا الفكر التلمودى لا يرى حاكم إسرائيل أو أورشليم أو الماشيح إلا (ملكاً)(*) من نسل النبى داود، مثلما يرى أن الكهنوتية، لابد أن تكون من نسل هارون النبى، لذا جاء تعميم لقب (الملك) فى معظم حكايات الليالى، قصداً مقصوداً لتحقيق هدفين:

(أ) نفى الخلافة العباسية لأنها لاتمثل (المركز المقدس) وهم اليهود.

(ب) تكرار الإشارة إلى (البديل) لترسيخه فى عقول الخاصة والعامة.

جانب آخر يتعلق بالإعلام والسياسة فى حكايات الليالى، ويظهر بجلاء أكبر فى عالم الحيوان.. ووصف العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى تلك الممالك (الرمزية). وأبرز هذه الحكايات ما جاء فى ممالك البحر والقرود والطيور والوحوش ومملكة الهمج، ولنأخذ على سبيل المثال ماجاء فى مملكة الحيّات

(*) عندما حقق أريل شارون (ثغرة الدفرسوار) والعبور إلى الضفة الثانية من قناة السويس فى حرب تشرين ـ أكتوبر ١٩٧٣.. بادر الجنود اليهود إلى مناداته بالملك.. إشارة إلى الوعد التاريخى للقائد الإسرائيلى.

كما وردت فى حكاية حاسب كريم الدين ورحلته العجيبة[1]، لنرى دلالات مقصودنا. يشار إلى أن هذه الحكاية «أصلها حكاية إسرائيلية أو منقولة عن الإسرائيليات»[2]، وسنكتفى بإيراد الجزء المتعلق «بالتوزيع الإدارى للوظائف العليا»[3]، فالملكة يعاونها اثنا عشر وزيراً، كما جاء فى وصف مجلس الملكة، ومجلسها فيه «تخت منصوب من الذهب.. وحول ذلك التخت كراسى منصوبة بعضها من الذهب، وبعضها من الفضة.. ثم عدها فرأها اثنى عشر كرسياً»[4]. والملكة معظمة جداً فهى لاتدخل إلا محمولة على طبق من ذهب فإذا دخلت، زعقت حية موكلة بحراستها، تخر على أثرها جميع الجالسات على الكراسى، ساجدات، وهن يدعون لها ولا يجلسن إلا بعد أن تشير لهن بذلك[5].. فالملكة وهى تقص على مسامع (بلوقيا) الذى شاعت ظروفه أن يدخل إلى هذه المملكة وأن تستضيفه الملكة، تخبره بأن نهايتها ستكون على يديه، «لأن أحد وزراء ملك مريض لا شفاء له، سيُحضر للملكة دواء ذلك الملك المريض، لأن شفاءه لايكون إلا إذا أكل من لحم ملكة الحيات»، ونصحت الملكة ـ بلوقيا ـ بالآتى:

١ ـ بعد ذبحها وطبخها سيأمر الملك المريض، بلوقيا، بناء على نصيحة وزيره، بأن يشرب أولاً من رغوة اللحم المطبوخ، حتى يموت.

(١) أحمد محمد الشحاذ: م. س. ذ، ص ٢١١.
(٢) سهير القلماوى: كتاب ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٣) أحمد محمد الشحاذ: م. س. ذ، ص ٢١٧.
(٤) الأب الصالحانى: ألف ليلة وليلة، ج٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٨٩، ص ٢٠.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٩.

٢ ـ أن الوزير سيشرب الجرعة الثانية من رغوة اللحم، فيصبح عالماً بكل شيء..

٣ ـ أن الملك المريض سيأكل اللحم المطبوخ، فيشفى من مرضه...

وعلى بلوقيا ـ كما نصحته ملكة الحيات ـ ألا يشرب الجرعة الأولى من رغوة اللحم حسبما يراه ذلك (الوزير) لأن الوزير (ملعون ماكر)(١).

فماذا نستنتج من الدلالات السياسية لهذا الجزء من حكايات حاسب كريم الدين ورحلته العجيبة إلى مملكة الحيات؟

أولاً: إن الحية رمز من رموز اليهودية، والحية هى التى أخرجت آدم من جنة عدن، كما فى الرواية التوراتية.. وبالتالى فإن آدم أو الملك، كما أخرجته الحية من الجنة أو من المملكة السعيدة، فهى مازالت القادرة على إعادته إلى (الجنة) أو إلى المملكة.. من خلال شفائه من المرض (الحجة).

ثانياً: إن الحية هى الملكة، ومن حولها اثنا عشر وزيراً.. يسجدون لها عندما تدخل إلى المجلس الملوكى.. وهنا نلمس أصعب الرموز الكبالية ـ اليهودية فى هذه الجفرة السرية، فالحية هى الملكة (الأنثى/ شخينياه/ حواء/ ليليت) ومن حولها اثنا عشر وزيراً، وهم ـ عندنا ـ رمز لعدد الأمم آنذاك ـ من عرب/ فرس/ ترك/ سودان/ أهل الصين/ أهل الهند/ أهل المغرب/ اليونان/ الإفرنجة/ أحباش/ الصقالبة/ الهمج البرابرة. كما أن

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧٨ ـ ٧٩.

الرقم (١٢) له دلالته الدينية المقدسة لإشارته إلى عدد الأسباط من بنى يعقوب، ولأن الجفرة الكبالية تمتاز بخاصية (قلب الدلالة) كان العدد ثابتاً فى رقميته، لكنه مقلوب فى دلالته بما يخدم (المركز المقدس ـ الملكة والمملكة اليهودية).

ثالثاً: مايشاع عن (الفطير المقدس) الذى لا يأكله اليهودى إلا بعد غمسه وعجنه بدم شخص غير يهودى.. لكن بموجب الحسابات الكبالية، تم قلب الدلالة، (اللحم بدلاً من الدم)، لإبعاد الشبهة دون نفى أصل القضية.. ولنتذكر مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) والحوار مع شايلوك اليهودى حول الدم واللحم.

رابعاً: إن موضوع ذبح الحية وطبخها، يعنى سلباً للملوكية من اليهود، إلى غيرهم.. فالأجدر بيهودى آخر أن يحتفظ بهذا الإرث الملوكى، والوريث أمام الملكة ـ الحية ـ بلوقيا، وهو اسم لشخصية يهودية قديمة، أفضل من أن تنتقل إلى الوزير الملعون الماكر الذى يريد أن يصبح عالماً بكل شىء.. والوزير كما أشرنا يعنى غير اليهود.

خامساً: ودلالة أخرى يمكننا إضافتها ـ مرتبطة بسابقتها ـ وهى أن اليهود، فى إدارة الممالك لهم الملكية العليا، ولغير اليهود المناصب الأقل.. وهو المطبق فعلاً حتى اليوم فى الحركة الماسونية (العالمية)(*).

(*) إضافة إلى ماسبق ذكره حول ميل اليهود إلى إطلاق تسمية (الملك) على ماسواه من ألقاب للحاكم.. نود الإشارة إلى ماكتبه (توم بين) عند مهاجمته للنظام الملكى الفرنسى بقوله: «إن أول من أقام النظام الملكى فى العالم، هم الوثنيون، وعنهم نقل اليهود هذا النظام..». للتفاصيل ينظر، هوارد فاست: المواطن توم بين، ترجمة منير البعلبكى، بيروت، ص ٥٣ ـ ٦٠.

إن هذه الجفرة الكبالية تجعل من أسرار ألف ليلة وليلة لغزاً منيعاً، على الرغم من العصور والأجيال التى مرت بها.. وهذا - من جانب آخر - يؤكد لنا أن صنعة التأليف لحكايات الليالى لم تكن البتة فعلاً فردياً بقدر ماهى نتاج جهد جماعى مشترك تحت إشراف مركزى له صفة وراثة (أسرار العلم الباطن) مع الاستمرار عبر أكثر من جيل وعهد..

المـــــال والتجـــــارة

ليس هناك اختلاف بين اثنين أن المال والتجارة، عنوان للشخصية اليهودية.. بل للوجود اليهودى، فى كل مكان من العالم، حتى أصبحت مفردات التجارة، الصيرفة، الربا، لصيقة بالفرد اليهودى وبسلوكه العام(*)..

من استعراض حكايات الليالى، وجدنا أن ثمة إحدى وعشرين قصة تتناول بشكل مباشر أو غير مباشر (التجارة والتجار) ومايرتبط بها من مال ودنانير وذهب وفضة.. وأن هذا العدد ـ كسابقه ـ يشكل نسبة ٢٨.٣٪ من المجموع الكلى لعدد الحكايات[١]..

فلماذا ارتبط المال والتجارة بالفرد اليهودى، كما ظهر ذلك فى ألف ليلة وليلة؟

(*) يطلق أهل العراق على الرجل البخيل اسم (حسقيل) أى اليهودى المقتر.
(١) خليل أحمد خليل: م. س. ذ، ص ١١٨.

١ ـ إن المال من دنانير الذهب الأصفر(*) لا وطن له، وهو رفيق دائم لمن يحمله.. واليهودى حريص على حمله معه، فهو يشترى ويبيع ويقرض بربا فاحش، ويقدم المساعدات للحكام والولاة والقادة لتمويل حروبهم، وبالتالى، أصبح المال الذهبى أساس التجارة وعصب الاقتصاد فى العصور القديمة والوسطى، وبالتالى ألغى (المال) حدود المكان والزمان.. وهو ما تناولناه فى الفصل الثانى عند حديثنا عن جغرافية ألف ليلة وليلة...

٢ ـ إن اليهودى يشبه صفات (المال) لا وطن له بعد سقوط أورشليم، فهو تائه، متجول، متحرك، غير مئتمنٍ، متعاون مع الأغراب، يرى نفسه مؤقتاً ليرحل عن سكنه وعمله وهويته وأصدقائه.. والتاجر فى العصور الوسطى عموماً، كذلك متجول لايعرف الاستقرار والإقامة(**).

٣ ـ إن المال (قوة) واليهودى فى صفاته يتظاهر بالذلة والمسكنة، فكأن المال تعويضاً مضموناً عن فقدان القوة الذاتية فى الشخصية

(*) من الطريف أن الخليفة العباسى العاشر المتوكل على الله، أعطى لكل ملة دينية لوناً خاصاً بها.. فالمسلمون لهم اللون الأبيض دلالة على الفطرة، والنصارى لهم اللون الأزرق دلالة السماء حيث رفع النبى عيسى ﷺ، والمجوس لهم اللون الأحمر دلالة النار، أما اليهود فقد خصص لهم اللون الأصفر دلالة الذهب من شدة حبهم له وتعلقهم به.. وفى ميثولوجيا اليهود أن البقرة الصفراء ستكون مقدمة لمجىء العصر المشيحانى...

(**) من الملاحظ أن «إسرائيل» أصدرت عام ١٩٥٠ قانوناً أسمته قانون العودة، وليس باسم قانون الإقامة أو المواطنة.. لأن الحركة جزء من الشخصية اليهودية.

اليهودية[1]، ومن هنا فإن المرابى إنما تكمن قوته فى الفاحش من المال المستدان ـ المتراكم بذمة المستدين.. وهنا تظهر قسوته وتسلطه على الآخرين..

٤ ـ من أجل المال والتجارة يمارس الدهاء والمكر والاحتيال، تحت أسماء، الشطارة والذكاء وحسن التصرف واستغلال الفرص.. واليهودى محتاج إلى:

(أ) التمجيد بديلاً عن المجد الآفل، كما يراه لنفسه.

(ب) إظهار البراعة لغير اليهود لغرض التفوق، وهى عقدة فردية وجماعية لدى اليهود[2]، لأنها «توحى بقرب الخلاص»[3].

٥ ـ توارث الفرد اليهودى إحساساً أنه ـ بعد الشتات ـ لايوجد لديه سوى ثلاثة ميادين، عليه الاحتفاظ بها لإعادته إلى سابق مجده الأورشليمى، وهى:

أولاً: التوراة وما يرتبط بها من كتب لاهوتية، لتحميه من النسيان والضياع فى غربته.

ثانياً: العلم لأنه يرى نفسه وريث النبوة والكهنوتية والحكمة.

ثالثاً: المال المتنامى المتوارث ليكون له عزاً وجاهاً بديلاً عن العز السياسى.

---

(١) للتفاصيل ينظر، صلاح عبدالفتاح الخالدى. الشخصية اليهودية، دار القلم، دمشق ١٩٨٧، ص ١٩٣ ـ ٢٨٨.

(٢) جمال البدرى: الأحزاب، م. س. ذ، ص ٢٠.

(٣) إيان لوستك: الأصولية اليهودية فى إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٩١، ص ٢٧.

إن أبرز مظهر للمال والتجارة والترحال الدائم، تجسدت لدى اليهودى، عبر شخصية وحكايات (السندباد البحرى)، فكيف كان ذلك؟

قبل أن يواجهنا المال وتواجهنا التجارة، ومايرتبط بهما من سفر وتنقل ومغامرات برية وبحرية، فإن المغزى الكابالى يواجهنا بقوة من خلال الرقم (٧) ذو الدلالة المقدسة لدى اليهود.. فسبع رحلات سندبادية تعنى (يهودية الموضوع) حتى لو أنه من أصل غير يهودى (هندى/ فارسى/ صينى/عربى)، ففى الإسرائيليات يشير هذا الرقم إلى أيام الخلق والتكوين، وكيف ختمت بالراحة للرب يوم السبت (المقدس) وهو اليوم السابع أو (الشبّات)[١].

لاشك أن شخصية السندباد جسدت البعد الحركى اللاغى لحدود الجغرافية (التقليدية) لكن عودة السندباد، رغم كل المخاطر والأهوال الأسطورية، إلى بغداد فيها تحقيق لفكرة الانفصال عن الأشياء، فهو أراد أن يكون لكنه لايستطيع أن يكون فى نفس الوقت، إنه بحث عن (الكنز المفقود) أين يكمن هذا الكنز الضائع؟ ولماذا رحلاته ومغامراته اتجهت نحو الشرق عبر البصرة.. رحلات بحرية تنتهى دائماً بتحطيم السفينة نتيجة عاصفة هوجاء، أو حيوان بحرى مخيف، أو ارتطام فاجع.. لماذا السندباد دائماً هو الناجى؟ ولماذا يعود سالماً، رغم ماتعرض له من أهوال ثقال؟

هنا نستطيع المجازفة بالقول: إن قصة السندباد، إن لم تكن (يهودية) لسعى اليهود إلى تأليفها.. فقد وجدت جهة التأليف بمغامرات السندباد

(١) دار الكتاب المقدس، كتاب العهد القديم (التوراة)، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢.

ضالتها، من جانب أخر أن (الكنز المفقود) كناية عن حق ثمين مدفون.. يبحث عنه صاحبه - رغم كل الأهوال - حتى يجده أو يجد الطريق المؤدية إليه..

الكنز المفقود هى أورشليم.. أما لماذا كان البحث عنها فى الشرق بالنسبة لموقع مدينة بغداد، وليس فى الغرب باتجاه فلسطين؟، فهى تخريجة كابالية كسابقتها، (قلب الدلالة وقلب الاتجاه..)، فبغداد هى بابل.. نقيض أورشليم و«ضرتها»، كما أن هاجر هى ضرة سارة..

أما (الرخ) هذا الطائر الأسطورى الكبير الحجم، ألا يذكرنا بالعربة النارية القادمة من السماء لتحمل النبى إيليا، كما ورد ذلك فى العهد القديم[1]؟. وبشكل عام فإن «أسطورة الطير الهائل، الرخ، واغلة فى القدم، ويعرف باسم باريشرى فى الأساطير الإسرائيلية، وفنج عند الصينيين، والعنقاء عند العرب، وسيمورغ عند قدماء الفرس»[2].

من جهة ثانية، حاول كتبة ألف ليلة وليلة إيراد تقسيمات على لسان السندباد عند زيارته لملك جزيرة سرنديب وهى سيلان الواقعة بالقرب من الهند.. ومما جاء فى الحكاية السندبادية «وملك جزيرة سرنديب.. ملك عادل، كثير السياسة، يقظان الحراسة، ناظر فى أمور رعيته، حافظ لهم، وذاب

---

(١) التوراة ٢ ملوك ٢، العربة النارية، نقلاً عن ٣٦٥ قصة من الكتاب المقدس، إصدار دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط، بيروت ١٩٩٥، ص ١٩٦.

(٢) حسين فوزى: حديث السندباد القديم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٣، ص ٧٠.

عنهم، وله ستة عشر وزيراً، أربعة منهم من أهل ملته، وأربعة نصارى، وأربعة مسلمين، وأربعة يهود، وقد رتب لهم موضعاً يجتمع فيه إليهم، ويكتب حججهم وأخبارهم، ويجتمع إلى علماء كل منهم، أعنى الهندية والرومية والإسلامية واليهودية، جمل من الناس وعدة من الطوائف، فيكتبون سيرة أنبيائهم، وقصص ملوكهم، فى سالف الزمان، ويعلمونهم شرائعهم ويفهمونهم ما لايعلمونه»[1]. ألا يدلنا هذا النص على تذمر كتبة ألف ليلة وليلة من الإجراءات التى بدأت ضد اليهود منذ عهد الخليفة المتوكل على الله واستمر عليها الخلفاء من بعده؟... وهنا يأتى رد (اليهود) بضرورة المساواة بين جميع أهل الملل، التى كانت موجودة فى العصر العباسى. والمتمايزة بألوان عمائمها الأربع، السالفة الذكر (الأبيض/ الأزرق/ الأحمر/ الأصفر).

إذن فمن «الإنصاف والعدل» أن تكون لكل ملة حقها المتساوى مع غيرها فى شؤون الحكم.. من خلال تخصيص ربع المقاعد الوزارية لكل ملة ودين.. وبذلك نجحت جهة التأليف بعرض وجهة نظرها السياسية، عبر وسيلة تجارية بارعة جاءت على لسان الآخرين...

***

إن التجارة إبان العصر العباسى بين الشرق والغرب كانت رائجة جداً، وقد ورد وصفها والإشارة إلى تفاصيلها فى أكثر من مرجع سابق ومصدر لاحق معاصر، ولعل أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤٠ ٣٤١.

خرداذبة في مؤلفه المسالك والممالك، أعطانا مثل هذه التفاصيل، وخصوصاً دور التجار اليهود فيها، وأماكن ارتيادهم.. بقوله عن «مسالك التجار الراذانية الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية، وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق، براً وبحراً[1]، يجلبون من المغرب، الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف، ويركبون من فرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما - بمصر - ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم، وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً، ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم إلى الجار وجدة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارسين، وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى، حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما، ثم يركبون فى البحر الغربى، فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها للروم، وربما ساروا بها إلى ملك الأفرنجة فيبيعونها هناك، وإن شاءوا حصلوا تجارتهم من فرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية، ثم يركبون فى الفرات إلى بغداد، ثم يركبون فى دجلة إلى الأبلة، ومن الأبلة إلى عمان والسند والهند والصين، كل ذلك متصل

---

(1) إن رحلات السندباد السبع مرتبطة أيضاً بالبحور المحيطة كما وردت فى أسطورة (جبل قاف) المحيط بالأرض، وهى: نطس/ قينس/ الأصم/ الساكن/ المظلم/ المؤنس/ الباقى. للتفاصيل ينظر، على شلق: الأرقام فى ألف ليلة وليلة، مجلة المورد، العدد الرابع، بغداد ١٩٧٩، ص ٦٢٧ - ٦٣٦.

بعضه ببعض»[1].. لذلك فإن دراسة التلمود تعطينا تصوراً واضحاً عن «التجارة باعتبارها أشرف المهن، وعن الإقراض باعتباره هدية من الرب»[2].

بشكل عام مرّ دور اليهود كأقلية تجارية بتطور طويل، وقد بدأ هذا الدور بتخصص اليهود فى التجارة الدولية، خصوصاً بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت التجارة الدولية عملاً تخصصوا فيه وكادوا يحتكرونه قبل القرن الحادى عشر[3].. وكانوا هم حلقة الاتصال التجارى بين بلاد المسيحية والإسلام، وبين أوروبا وآسيا، وبين الصقالبة والدول الغربية[4]، وهذا ما دفع غير اليهود أن تتهود، مثل قبائل الخزر التى تشتغل بالتجارة الدولية، وأن تصبح «اليهودية» الدين الرسمى للدولة فى القرن التاسع، حتى يستفيدوا من شبكة الاتصالات اليهودية الدولية، ومن نظام الائتمان العالمى الوحيد، فى ذلك الوقت..»[5].

وهكذا تضافرت العوامل التاريخية والجغرافية والدينية والثقافية لتجعل من المال والتجارة (مهنة يهودية) معبرة فى ألف ليلة وليلة عن أعماق نفسية

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، منشورات دى خوى، ليدن، هولندا ١٨٨٩، ص ١٨.

(٢) Schweltzer, Fredrick M. Ahistory of the Jews since the First century A.D., New York" MacMillan, 1971, P. 168.

(٣) عبدالوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، ج٢، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢، ص ٢٠.

(٤) ديورانت، ول. قصة الحضارة، ج٣ ـ م٤، ط١، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٥٧، ص ٦١.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٨١.

واجتماعية مثّلها السندباد وغير السندباد ببراعة لاتقل عن براعة اليهودى فى جمع الذهب والفضة.. وربما من خلال نفس هذا الفهم، استطاع (ماركس) تلخيص مفهوم اليهودية بقوله: «اليهودية تساوى فلسفة المال».

الجنس والمرأة

ستواجهنا فى الركن الثالث هذا، موضوعات أساس هى:

١ ـ شهرزاد، الشخصية والرمز..

٢ ـ العجوز، الدهاء والحكمة..

٣ ـ الجوارى الحسان، وبابل الزانية..

بادىء ذى بدء، يخطىء من يظن أن محور المرأة، كما جاء فى حكايات الليالى، رتب بطريقة المصادفة غير المقصودة أو التى لاترتبط بهدف أو بالمغزى اليهودى من ورائه، كما وضعته جهة التأليف (سنهدرين اليهود فى العصر العباسى)، ولنأخذ الموضوع للشخصية الأساس (شهرزاد)، ففيها المبتدأ وفيها المنتهى لكل حكاية.. فمن هى شهرزاد؟ ومادلالة شخصيتها..؟

١ ـ تتفق معظم الروايات القريبة لعصر حكايات ألف ليلة وليلة، على أن شهرزاد إنما هى ابنة وزير تزوجها الملك شهريار، فنجحت فى تغيير عادة هذا الملك فى أن يذبح مَن يتزوجها بعد ليلة واحدة حتى لاتخونه،

عبر ملهاة حكاياتها التى كانت ترويها عليه، طوال ألف ليلة وليلة[1].

٢ ـ من خلال استعراض وتتبع شخوص الليالى من النساء لم يتم إيراد شخصية تشير إلى المرأة اليهودية.. بينما تمت الإشارة إلى جنسيات معظم النسوة وديانتهن مثل المرأة العربية/ المسلمة، والمرأة الأفرنجية/ النصرانية، والمرأة الفارسية/ الزرادشتية.. وعلى الرغم من ذلك نجد أن (المرأة اليهودية) غائبة من التشخيص المباشر لها فى كل الحكايات، فكان اختفاؤها تسامياً لها على غيرها من نساء الأمم والديانات الأخرى.

٣ ـ على الرغم من كل ذلك نجد (المرأة اليهودية) حاضرة فى جميع الليالى، فى المبتدأ هى التى تبدأ أول الحديث، وفى ختام السمر والليلة هى التى تنهى الحديث، الجميع متلهفون إلى ماستقوله، وفق ماتريد بما فيهم الملك شهريار.

إنها (شهرزاد).. لماذا أوحت شهرزاد بهذه الدلالة؟

للإجابة عن هذا التساؤل وغيره مما هو مرتبط به، نرى الآتى:

أولاً: ينطلق الاعتقاد اليهودى من اعتماد (المرأة) الأساس فى الانتماء وتحديد الهوية اليهودية.. فاليهودى ـ قديماً وحديثاً ـ هو من كانت أمه يهودية، ولو كان أبوه من غير اليهود، وهذا الاعتقاد الانتسابى متأصل فى

(١) للتفاصيل ينظر، أبو الحسن المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، تحقق محمد محيى الدين، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٧٦. كذلك: ابن النديم، م. س. ذ، ص ٣٦٣.

الفكر التلمودى، انطلاقاً من الرؤية الكابالية المبنية على تصور الشخينياه، أى زوجة الرب يهوه، ومنزلتها العاشرة فى علو القداسة، فالأنوثة هى (إسرائيل)، منها يأتى عطاء الرب وإليها ينتهى أمره لشعبه المقدس.. ومن خلالها تنهال البركات.. كما يرى الكابالليون أن «الشخينياه، هى زوجة الرب أو الجانب الأنثوى من الرب، وهذا ولّد تراثاً سرياً من العلاقات الجنسية..»[1]، وبالتالى فإن الشخينياه، أصبحت ترافق شعب الرب فى منفاهم، وفى شهر زاد شىء من الشخينياه، التى رافقت اليهود فى الشتات.

ثانياً: إن شهرزاد تنذر نفسها - على الرغم من نصيحة والدها الوزير - لإنقاذ بنى جنسها من النساء اللواتى يذبحهن الملك شهريار (الرب) كل ليلة، وتنجح بدهائها من إيقاف استمرار (المجزرة) ضد حريم الملك، اللاتى يعتقد أنهن يخنه سراً مع عبيده (الأغيار).. وإذا طبقنا تصورنا الرمزى بشأن اعتبار المرأة (أصل) اليهودية وليس الرجل مثل باقى الأمة السامية، نجد أن شهرزاد لها ما يناظرها فى التاريخ اليهودى.. ففى هذا التاريخ توجد حالتان:

١ - زواج الملك الفارسى (الأخمينى) كورش من أخت زوربا بيل بن ثلائيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير.. فلما دخل بها ارتفعت منزلتها عنده، وقال

---

(١) للتفاصيل ينظر، دافيديا كان: فرويد والتراث الصوفى اليهودى، ترجمة طلال عتريسى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨، ص ٢٦٠.

لها: اطلبى منى ماشئت؟ فطلبت منه عودة بنى إسرائيل إلى أورشليم، وأن يأذن لهم بعمارتها.. فاستجاب الملك لذلك.. وقد نعت اليهود كورش بالراعى وبالمسيح المنتظر ووصفوه بالمنقذ[1].

٢ ـ وهى الأهم من حيث الظاهر بالنسبة لشخصية شهرزاد الأسطورية، وأعنى بها شخصية (استير)، التى يحمل اسمها عنوان أحد أسفار اليهود المقدسة.

تروى لنا التوراة حكاية أستير مع الملك الأخمينى أحشويرش الأول (٤٨٦ ـ ٤٦٥ ق.م)، وكيف أنها توسطت لديه فى سبيل خلاص اليهود من القتل الجماعى. فقد تمكن الوزير هامان الفارسى الكاره لليهود (الوزراء دائماً يكرهون اليهود) من إقناع الملك بفكرة قتل اليهود بسبب خيانتهم للمملكة.. فدخلت استير على زوجها أحشويرش، وأقنعته بالعفو عن اليهود، وقتل وزيره (الماكر الملعون) فوافق الملك الفارسى على ذلك.. وهكذا تمكنت استير اليهودية بمعاونة عمها مردخاى من إنقاذ بنى جلدتها من الهلاك، حتى تحولت هذه المناسبة إلى عيد يحتفل به اليهود كل عام، فى يومى الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار ويسمونه بعيد البوريم[2].

واستناداً إلى هذه الواقعة التاريخية، تكون شهرزاد هى الاسم الرمزى، (للبطلة اليهودية) استير، و شهريار هو الاسم الظاهر (للرب أو

(١) التوراة: سفر إشعيا ٤٤ ـ ٣٨ ـ ١، للتفاصيل ينظر: طه باقر، م. س. ذ، ج٢، ص ٢٩٩.
(٢) حسن ظاظا، م. س. ذ، موضوع الأعياد والمناسبات عند اليهود..

الملك)، أحشويرش الأول.. وقد خلدت التوراة اسم وفعل استير لإنقاذ اليهود، وخلدت ألف ليلة وليلة - من خلال جهة التأليف - شهرزاد/ استير فى جميع حكايات الليالى.. لأن مرحلة كتابة ألف ليلة وليلة كانت بداية للتضييق ضد اليهود فلابد من التعبير عن الإحساس بالاضطهاد من خلال (خلق) المنقذ المعادل للشعور بالخوف والعقاب المجهول.. وأخيراً فإن شهرزاد فيها شىء كبير من (الماشيح) الذى يخلص شعبه من الشتات والفناء، ضمن الرؤى «الميسائية» التى تشكل إحدى سمات الفكر الدينى اليهودى عبر العصور[1]..

***

أما موضوعة (العجوز) فى ألف ليلة وليلة، فقد وجدناها - بعد التحليل والمقارنة والنقد - كانت بمثابة الرمز لجانبين متفاعلين:

الأول: الدهاء النفّاذ للوصول إلى تحقيق الغايات.

الثانى: الحكمة الوقادة والبصيرة الخبيرة بدقائق الأمور.

---

(١) جمال البدرى: الأحزاب، م. س. ذ، ص ٢٤ - ٢٩ (الماشيح وهيكل سليمان). ونزيد القول: إن اليهود لم يخلدوا (استير) من خلال شهرزاد فحسب، بل إن فعل استير هذا (الإنقاذى) تم تشبيهه ببداية حياة جديدة لليهود لخروجهم سالمين من تلك الهولوكست.. فتم تأكيد هذه المكافئة التى يتوارثها الأبناء عن الآباء عبر العصور من خلال اسم الليالى (ألف ليلة وليلة). فهذا الاسم/ العنوان لم يكن تسمية عربية كما توهم جميع الذين سبقونا إلى دراسة وتحليل حكايات الليالى وأسرارها.. وإنما وجدناه يعود إلى العهد القديم الذى يسمى (حواء) باسم «ليليت أو ليلة».. وإذا طابقنا أسطورية تكرار العدد وقيمته المعنوية فإن استير هذه بمثابة (حواء الأولى) أصل الحياة، أما تفاصيل دلالة العدد الرقمية والحسابية فسيتم تناوله فى الفصل الرابع.

إضافة إلى ذلك فعجوز ألف ليلة وليلة تتميز «بالمقدرة على التكيف الخلقى، فهى زاهدة تحمل مسبحة لذكر الله.. وهى ساحرة.. وهى فارسة شجاعة ومقاتلة بارعة، وهى أنسية خبيثة كعجوز الروم ـ ذات الدواهى ـ.. وهى جنية طيبة كعجوز جزيرة الواق واق فى حكاية حسن البصرى، وهى عربية عجوز كما فى حكاية مزين بغداد، وهى فرنجية، كما فى حكاية علاء الدين ومريم الزنارية..»(١).

لكننا نجد أن مفهوم العجوز فى الليالى إضافة إلى كل ذلك، هى رمز الدهاء النفّاذ للوصول إلى تحقيق الغايات ورمز للحكمة الوقادة والبصيرة الخبيرة، بدقائق الأمور.. القادرة من الوصول إلى الأسرار، وخلق المعجزات، تجمع وتفرق، توصل وتقطع، تجعل القوى ضعيفاً، والعكس صحيح، ولا ينالها أى أذى أو اعتراض.. فهى العجوز الحكيمة أو الحكيم، ولنقل إنها (الحاخام) قياساً على موضوعة شهرزاد ـ استير.

إن تعدد صور العجوز (الحاخام) فى حكايات الليالى يساوى فى تقديرنا عدد صور المؤلفين الذين ساهموا بوضع وكتابة ألف ليلة وليلة فى (سنهدرين) اليهود فى العصر العباسى.

***

(١) للتفاصيل ينظر، عبدالغنى الملاح: رحلة فى ألف ليلة وليلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١، ص ٤٩.

وأما بشأن الجوارى الحسان.. فقد كان المعنى بها (خدم القصور) ومن وجهة نظرنا، فإن الجوارى من النساء والعبيد من الرجال والغلمان.. فى الليالى، فيها إشارة إلى غير اليهود المسخرين لخدمة اليهود من الأغيار أو الجوييم، ولهذا كانت صور وصفات وواجبات الجوارى.. إنما تعنى الخدمة والسخرية والترفيه دون إغفال لمهارة وقابلية بعض الجوارى.. بالتفوق، العقلى والأدبى، كما كان الحال مع قوت القلوب جارية (ست زبيدة) زوجة الخليفة هارون الرشيد، والجارية (تودد) الثاقبة العقل والبصر بعلوم أهل زمانها.

ولعل تكرار الإشارة إلى ناحية المتعة الجنسية والمبالغة الفاضحة فيها، من خلال عرض صور الجوارى الحسان والخدم ورعاع الناس وعلية القوم، إنما يقصد به أمران:

(أ) أمر مباشر.. ويتعلق بترسيخ الانحطاط الذى عليه الناس من غير اليهود، تنفيذاً لمقولة (بابل الزانية).

(ب) أمر غير مباشر.. وفيه إثارة المشاعر والغرائز لتشجيع (المجالس) على مواصلة قراءة الليالى دون ملل أو ضجر..

وإذا نظرنا فى التراث الباطنى اليهودى (فنرى الكاباليون إنهم يميلون إلى اللغة الجنسية كثيراً فى كتاباتهم الباطنية، وقد نجد فى كتابهم الزوهار، المعتبر الثالث من بعد التوراة والتلمود، هذه اللغة والاستعارات الجنسية بكثرة..)[١].. وقد نجحت جهة التأليف فى توفير هذين الأمرين، حتى عرفت الليالى بأنها قصص وحكايات الجوارى البغدادية، وأصبحت تهمة الفساد

---

(١) للتفاصيل دافيد باكان، م. س. ذ، ص ٩٤.

الأخلاقى والشبق الجنسى عنواناً للإنسان الشرقى (العربى المسلم) خاصة، عبر العصور، إضافة إلى التهالك المؤدى إلى الغدر والخيانة الجنسية بين المرأة والرجل.. استهانة بالمرأة من جهة، وإظهاراً لتهالك الرجال، على الشهوات بطرق غير حضارية وغير إنسانية، ترسيخاً لمقولة (بابل الزانية)، التى لم تحفظ العهد كما يتهمها اليهود من ذى قبل.. لقد بلغت حكايات ألف ليلة وليلة التى تناولت (الجوارى) تسع حكايات وبذلك فهى تشكل ما نسبته ١٢.١٪ من مجموع حكايات الليالى[١].

ولابد من التذكير أن تناول الجوانب الجنسية فى حكايات ألف ليلة وليلة وإظهار فواحش القول والفعل والتشبيه فى الرجال النساء والغلمان عموماً.. يؤكد أن مؤلف الليالى لا يمكن أن يكون عربياً ـ مسلماً، ولا يستساغ صدور هذا الكم من الأوصاف والحكايات الفاضحة من قلم عربى ـ مسلم، إلا إذا كان متخذاً عروبته وإسلامه غطاء لباطنيته الدفينة.. وما أكثر أهل الذمة الذين تظاهروا بالإسلام نفاقاً.

(١) خليل أحمد خليل، م. س. ذ، ص ١١٨.

السحر والأسطورة

﴿... وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت...﴾[1].

السحر في أصله المعلوم ومنبته المحتوم، بابلي، وقد أخذ موضوع السحر مساحة كبيرة من حكايات ألف ليلة وليلة، حتى بلغت عدد الحكايات المتضمنة للسحر والجان والشياطين والعفاريت، ثماني حكايات، وهي بذلك شكلت نسبة ١١٪ من مجموع قصص الليالي[2].

أما كيفية انتقال (السحر) إلى اليهود، حتى تخصصوا فيه، فذلك إنما يعود إلى سببين:

١ - بعد الأسر البابلي لليهود ومكوثهم في وادي الرافدين لعقود ثم لقرون.. أخذوا عن العراقيين القدماء، الكثير من علوم ومعارف بابل، ومن بينها علم السحر، الذي لم يكن (شعوذة) في ذلك الوقت بقدر ماكان علماً طبياً للعلاج، وسياسياً لفرض سيطرة الحاكم على الآخرين..

٢ - في زمن النبي سليمان عليه السلام، الذي منحه الله قدرة خاصة بالسيطرة على

(١) القرآن الكريم: سورة البقرة، من الآية ١٠٢.

(٢) خليل أحمد خليل، م. س. ذ، ص ١١٨.

الجن والعفاريت، ما جعل رعيته من اليهود يمتازون بهذه الخاصية، حتى أصبح اليهود أمهر السحرة بين العالمين(*)، بل إن السحر اعتبر مهنة يهودية مثل الربا، ينتقل معهم أنّى حلّوا.. وصنعة تفوقوا بها على غيرهم، ونجحوا فى توظيفه ضد أعدائهم وخصومهم.. كما حصل ضد النبى محمد ﷺ. إن موضوعة السحر والأسطورة أعطت فى تلك الأزمنة لأصحابها ميزة (علم الغيب المجهول) والتفوق ولو إلى حين، مما زاد من مكانتهم بين الآخرين، ومن أبرز سمات العقلية المؤمنة بالسحر والأسطورة، أربع، هى:

١ ـ الخيال الواسع..

٢ ـ اللغو الكلامى..

٣ ـ رتابة الفكر..

٤ ـ القدرية الاستسلامية..

ولو تمعنا ملياً بمكونات ونسق وبنية الحكايات فى ألف ليلة وليلة، لوجدنا هذه السمات الأربع طافحة فى جميع الحكايات تقريباً.. بشكل كامل أو من خلال عبارة أو جملة أو موقف له دلالة..

فالخيال الواسع سمة لا يختلف عليها اثنان، حتى يبدو الخيال أحياناً السمة العامة للحكايات أكثر مما هو الواقع الوارد فيها..

أما الإطناب واللغو والحشو والتكرار، فقرين لذلك الخيال الواسع، ومن ثم جاءت رتابة الفكر فى حكايات الليالى على الرغم من تنوع أساليب

(*) كان سحرة فرعون مصر من أشهر سحرة العالم القديم، لكن بعد إيمانهم، تركوا (الساحة) للسحرة اليهود.

الحكايات والتشويق المبثوث فيها.. فجهة التأليف تلاحق الغاية التى وضعتها من وراء التأليف، لتحقيق أهدافها غير الظاهرة وغير المباشرة، مما جعل رتابة الفكر تشكل ـ فى الليالى ـ إطاراً للبناء الفنى والأسلوب الكتابى..

وتأسيساً على ماسبق جاءت القدرية الاستسلامية لتصوغ حكايات الليالى، حتى تغلبت هذه القدرية على ماسواها من اختيار وعقل واجتهاد مبدع، معبرة عن الحالة ـ المحنة التى عاشتها الخلافة والمجتمع العباسى فى موضوع وقضية (القدم والحداثة) أو ماسمى (بخلق القرآن)، والتى أثارها الفكر المعتزلى على حساب فكر أهل السنة والجماعة. وقد استغل اليهود هذه القضية (القدرية) لتعميم مفاهيم الحياة والسياسة، خصوصاً وأن الخليفة المتوكل على الله العباسى، هو أول من أوقف هذه المعاناة، وانتصر لأهل السنة والجماعة ضد أهل الباطنية والاعتزال.. ولعل مما خدم سيادة طرح (القدرية الاستسلامية)، إيمان وعقيدة رجال الدين اليهود بها أيضاً، فكانوا فى هذا الجانب الأقرب إلى أهل السنة والجماعة من أهل التشيع والاعتزال.. فمن سمات الفكر والعقيدة اليهودية، سيادة التقاليد الكهنوتية على جميع مظاهر الحياة اليهودية، ولا يجوز لأحد الخروج عنها لأنها مقدرة من الرب[١].

وفى هذا كان (اليهود) يجاملون عهد الخليفة المتوكل ومن أتى من

(١) للتفاصيل ينظر، نديم عيسى: الأصولية اليهودية فى الكيان الإسرائيلى، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ١٩٩٥، ص ٥٠ ـ ٦٠.

بعده.. فى قضية (إسلامية) لا يهمهم من يكون فيها الغالب أو المغلوب.. إذا كسبوا صاحب السلطان أو على الأقل تقليل العداوة معه لمنع حصول نتائج مضرة بمصالحهم التجارية والاجتماعية..

وفى ضوء تأثير السحر والأسطورة، اعتمدت حكايات الليالى على إيراد اسم النبى (سليمان)، وكذلك (خاتم سليمان)، فى كثير من المواقف التى صعب حلها بالطرق التقليدية، فكان ذكر اسمه (عليه السلام) هو المؤدى إلى التغلب على المصاعب، والوصول إلى حلول ممكنة باسم (المعجزة)، ومعلوم أن المعجزة تأتى مع النبوة والأنبياء، وزمن النبوة والمعجزة معاً، ابتعدا كثيراً عن زمن تأليف ألف ليلة وليلة، فلماذا هذا التكرار والإصرار على استمرار المعجزة/ النبوة..؟

إن التاريخ اليهودى شهد استمرارية ظهور (الأنبياء) من بنى إسرائيل، عبر عصوره اللاحقة لما بعد وفاة النبى موسى عليه السلام.. لكن اليهود ظلوا يعتبرون أنفسهم «شعباً من الأنبياء والحكماء» مادامت التوراة بين ظهرانيهم.. ولهذا استمر ذكر (المعجزة) لأن النبوة مازالت مستمرة من خلال وجود اليهود أنفسهم.. أما التركيز على ذكر شخصية النبى سليمان بن داود فى الليالى، فيعود إلى سببين:

الأول: إنه النبى الذى يؤمن به المسلمون، كما يؤمن به اليهود والنصارى سواء.

الثاني: إن النبى سليمان، رمز لليهودية السياسية، فى عصرها الذهبى، مثلما اقترن اسمه بالسيطرة على الجن والعفاريت(١)..

وبالتالى فإن ذكر اسمه أصبح مقبولاً ومستساغاً من قِبل الجميع، ولا يشكل أية مفارقة أو شبهة..

من جانب آخر، فإن موضوعة السحر والأسطورة، أعطت الليالى الصبغة التلمودية (الرمزية) ونجحت فى توظيف ماجاء فى (الزوهار) من كبالية باطنية قائمة على السحر وحساب الأعداد والجمل والحروف، وتخريفات وطلاسم أسطورية، كان نتاج الشرق القديم والوسيط يلتقى عندها بقاسم مشترك، ورثته اليهودية بل وطوره اليهود، حتى انعكس جانب منه فى بنية حكايات الليالى، ليدخل إلى النفوس قبل أن تقبله العقول ويتحول إلى مفاهيم وسلوك فردى وجماعى، طبع الشرق، والعربى ـ الإسلامى منه خاصة بطابعه (الاستشراقى)، وجعله يعيش فى (دائرة السحر) حتى الآن.

ولعلنا لا نتجاوز المعقول، لنقول إن مدارس دينية واجتماعية لعبت دوراً مؤثراً فى توجيه الأحداث الخطيرة التى تعرض لها المشرق العربى ـ الإسلامى، نتجت عن تصورات كبالية مغروسة فى (اللاشعور الجمعى) للإنسان فى منطقتنا جسدتها الحركات والفرق الصوفية والباطنية المتقاطعة

(١) للتفاصيل ينظر، التوراة: سفر حزقيال ٣٧ ـ ٢٨/٢٤. كذلك ينظر، محمود الشرقاوى: التفسير الدينى للتاريخ، دار الشعب، القاهرة، (بلا)، ص ١٦٣ ـ ١٨١. (التفسير اليهودى للتاريخ).

مع أصول الإسلام الأساسية، وهو ما انعكس أيضاً فى تنامى ورسوخ (الازدواجية) السياسية والاجتماعية.. فى الضمير الفردى والجماعى، حتى أصبحا ضميرين متناقضين:

(أ) ضمير ظاهر متكيف مع مقتضى الحال والأحوال.

(ب) ضمير باطن رافض ومتمرد على الضمير الظاهر ومواقفه السلوكية.

وقد ترتب على كل ذلك الآتى:

١ ـ **داخلياً**: قيام قطيعة استراتيجية مابين الشعب والدولة أو الحكومة، عبر العصور الوسطى...، مما جعل الوصف السياسى مقلوباً، بمعنى أن الشعب أصبح ملكاً للدولة وليس العكس، وبالتالى لم تكن الدولة الحديثة فى المشرق وريثة الماضى، ممثلة للإرادة الشعبية.

٢ ـ **خارجياً**: استساغة وقبول السيطرة الأجنبية أو التبعية لها.. مما جعل حكام المشرق العربى ـ الإسلامى يشكلون حلقة ارتباط بالقوى الخارجية على حساب (الداخل)، ومن ثم أصبحت سمة (الدكتاتورية) طاغية على ماسواها لغرض (القهر) وفق إرادة الحاكم وليس مثلما يريدها الشعب.. كل ذلك والشعب يرى نفسه (مسلوب الإرادة) لأنه فى داخله ودواخله العميقة ورث القدرية الاستسلامية، كما ورث حكايات وسمات ألف ليلة وليلة.

الفصل الرابع

الكلام غير المباح

- العهد الثالث.
- ألف ليلة وليلة والماسونية.
- الرؤية الألفية فى ألف ليلة وليلة.
- الليالى فى أمريكا.

العهـــــد الثـالـــــث

إن التـوراة هى العـهـد القـديم (الأول)، والإنجـيل هو العـهـد الجـديد (الثـانى)، أمـا ألف ليلة وليلة ـ استناداً إلى كل مـاسـبق ومـا سـيـأتى ـ فقـد أطلقنا عليها تسمية (العهد الثالث).. وسواء أكانت ألف ليلة وليلة هذا أو ذاك فإنها بحق عهد ثالث متجدد يرقى إلى ماقبله مكانة وتأثيراً وارتباطاً باليهود وباليهودية(*)..

ولو ألقينا المزيد من التمعن والاستبصار، لسجلنا الملاحظات الآتية:

١ ـ من حيث الشكل: فإن التقسيمات الواردة فى الليالى على نحو:

أولاً: حكاية فى ليلة أو أكثر..

ثانياً: ليلة فى حكاية أو أكثر..

ثالثا: بدء وختم متكرر..

(*) يأخذ علينا البعض أننا «نحيل» ألف ليلة وليلة لصالح غير العرب.. لكن علينا أن نتذكر أن «الإسرائيليات» قد دخلت على ماهو أقدس من ألف ليلة وليلة، وأعنى بذلك «التفسير والحديث النبوى»، إذ تم وضع مئات وآلاف الأحاديث المنسوبة إلى النبى محمدﷺ، تمثل وجهة النظر اليهودية.

مثل، «يحكى أن.. أما حكاية.. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح..»، فإنها شبيهة بتقسيمات (الكتاب المقدس)، إلى أسفار وإصحاحات، تتناول قصة أحد الأنبياء أو حادثة ذات دلالة تاريخية أو دينية.. وعلى حد قول ليتمان: «من هو - مثلاً - ذلك الفنان أو الفنانون.. الذين كتبوا قصص معروف وجودر وأبو قير؟ ومن الذى ابتكر حكايات الأحدب اليهودى، وحكاية مزين بغداد؟ ومن هو الذى كتب قصة علاء الدين؟.. فإن هذه الحكايات جميعاً فيها من الواقعية المباشرة مايرى القراء الغربيون، أنه يباين كل المباينة مافى القصص الفارسى والهندى، من بُعد عن الواقع، وهى من طبقة القصص الذى نجده بالعبرية فى كتاب العهد القديم»(١).

من جانب آخر، فإن روح التوراة والتلمود البابليين، قد انتقلتا إلى ألف ليلة وليلة بحكم الوراثة الموضعية لنفس الموقع الجغرافى، وهذا مما ساعد على انسيابية وقبول الناس لماتضمنته الليالى من روح يهودية (معتدلة) قياساً إلى غيرها من البيئات اليهودية (المتطرفة) وآية ذلك أن «بغداد تقع فى إقليم بابل القديم، ومن ثم فإن الراجح، أن الأفكار البابلية القديمة بقيت قائمة هناك حتى العهود الإسلامية، وربما كانت قد انعكست فى ألف ليلة وليلة، بل إن قصة حيقار الحكيم كلها.. أصلها من بلاد الجزيرة القديمة،

---

(١) أى، ليتمان: ألف ليلة وليلة - دراسة وتحليل، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت ١٩٨٢، ص ٧٠.

ولعلها ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقد تسربت، عن طريق الأدبين اليهودى والنصرانى إلى الأدب العربى، والخضر، له أصل بابلى، وربما كانت رحلات بلوقيا وماء الحياة الذى كان يفتش عنه الأمير أحمد تعكسان موضوعات من ملحمة كلكامش البابلية.. وأن رحلات بلوقيا قد عرفها العرب عن طريق الأدب اليهودى..»[1].

وبذلك ساعدتنا ألف ليلة وليلة على تحديد الأمور الآتية:

١ - وراثة المكان (الموضع والموقع)، تؤدى إلى...

٢ - وراثة الأفكار (التراث الحضارى)، تؤدى إلى...

٣ - تقبل هذا الإرث من قِبل الأجيال اللاحقة (التوالد القيمى)، يؤدى إلى...

٤ - التحكم بتوجيه الرأى والسلوك الفردى والجمعى (الأثر)، يؤدى إلى...

٥ - تحقيق معظم الأهداف على المديين المتوسط والطويل (التبعية الثقافية)، تؤدى إلى...

٦ - تحويل هذا التأثير وهذه التبعية إلى حقيقة تاريخية مُسلَم بها وراثياً (التعميم).

وهنا يمكننا الإشارة إلى أن جهة تأليف الليالى كانت قد استفادت -

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٤١. وللتذكير تنظر حكاية بلوقيا فى مملكة الحيات.. الفصل الثالث - المبحث الأول منه.

بقوة ـ من محاولة (النضر بن الحارث القرشى)[1] الذى كان يسرد من قصص الفرس والروم محاولاً معارضة القصص القرآنى به، لإبعاد الناس وصرفهم عن الإسلام، عن طريق التشكيك وتلفيق الأساطير.. وقد نجح النضر فى ذلك أول أمره.. حتى وقع أسيراً يوم معركة بدر الكبرى، فأمر النبى ﷺ، علياً بن أبى طالب بقتله صبراً.. وانتهى أمره.

ولهذا كان تأليف الليالى مبنياً على تجربة سابقة وقعت فى منتصف القرن السابع الميلادى فى مكة، ثم تكررت بسعة عظيمة ودهاء متقن فى «بغداد» القرن العاشر الميلادى، وذلك فى ألف ليلة وليلة، لتكون سلاحاً فكرياً ماضياً فى الشرق والغرب.

إن تقبل (ألف ليلة وليلة) فى المجتمعات التى تأثرت بالروح التوراتية، كان أكبر من غيرها من المجتمعات الأقل تأثراً، فبين التوراة والتلمود وألف ليلة وليلة حبل سرى من (التعشق القيمى والغرضى)، ولهذا نجد أن شهرة الليالى تعاظمت عالمياً بسبب هذه (الروح)، وخصوصاً بعد انتقالها إلى أوروبا.. وقد وجدنا أن ثمة تطورات تاريخية شهدتها أوروبا، غيرت من مسارها السياسى والاجتماعى والدينى والثقافى فى أعقاب انتقال مركز الثقل اليهودى إلى الأندلس فى القرن العاشر الميلادى(*)، وكذلك بعد انتهاء

---

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام، تهذيب عبدالسلام هارون، ط٥، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٧٧، ص ٦٩.

(*) من بين أسباب نقمة الكنيسة الكاثوليكية على يهود الأندلس وقيام محاكم التفتيش ضدهم بعد سقوط الحكم العربى ـ الإسلامى هناك، ظهور الانشقاقات فى المسيحية الأوروبية متأثرة بفكر العهد القديم (التوراة)، ولاقت تشجيعاً من شخصيات يهودية تظاهرت بالمسيحية..

الحروب الصليبية فى القرن الثالث عشر الميلادى[1]، حتى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وكان للروح التوراتية ولروح ألف ليلة وليلة أثرهما الشاخص فى تلك التطورات التى أدت إلى عصر النهضة الأوروبية، بما فيه اكتشاف العالم الجديد سنة ١٤٩٢م، وحتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.. التى كان من ثمارها الواضحة ظهور شخصية القائد نابليون بونابرت، الذى تتفق معظم المصادر التاريخية على جهوده المباشرة فى دعم الطموحات اليهودية، خصوصاً فى المشرق العربى، بغض النظر عن أسباب هذا الدعم والتأويلات التى قيلت فيه[2].. ويكفى أن تكون أهم نتيجة للتطورات الجديدة التى ارتبطت بالثورة الفرنسية سيادة روح (التسامح الدينى والفكرى) التى بدأها لوثر وكالفن من قبل، مما ساعد على تنامى وانتشار (الهسكالا)[*]، وكل ذلك كان من المقدمات غير المنظورة لظهور الحركة الصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر، إثر انعقاد مؤتمرها الأول فى بال ـ سويسرا فى شهر آب ـ أغسطس ١٨٩٧م.

---

(١) إن الحكايات التى تدور حول الحروب الصليبية فى الليالى تشكل أكثر من مائتى ليلة، وتقع فى ثلاث حكايات، هى:

١ ـ الملك نعمان وولديه، شركان وضوء المكان.

٢ ـ على نور الدين ومريم الزنارية.

٣ ـ الصعيدى وزوجته الفرنجية.

(٢) للتفاصيل ينظر، قاسم عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٠، ص ٢٢٦.

(*) الهسكالا، هى حركة التنوير والاستنارة اليهودية فى أوروبا القرن ـ ١٩، ويسمى دعاتها بـ(المسكيليم)، وأبرزهم يهوذا جيليتس..

ألف ليلة وليلة والماسونية

لا نريد الدخول فى تاريخ الحركة الماسونية ولا فى أصولها وأهدافها.. وإنما نكتفى بالإشارة إلى تشابك الأجواء النفسية والانعكاسات المظهرية - زماناً ومكاناً - لما جاء فى حكايات ألف ليلة وليلة مع بعض طقوس ماهو معلن عن الحركة الماسونية والتى هى - فى تقديرنا - بمثابة يهودية غير اليهود.

فإحدى المفارقات أننا لاحظنا أن هناك تشابهاً بين سلوك الماسونيين و(الظرفاء) الذين ظهروا فى مرحلة الازدهار الحضارى والاجتماعى للدولة العباسية..

والظرفاء مجاميع من الأغنياء (البرجوازيين) المتأنقين فى المأكل والملبس، وفى القول والمجلس، وفى التقاليد والطقوس، يميلون إلى روح المرح الراقى والدعابة الفكهة والحب المتزن.. ولا يسمحون لغير الظرفاء من مشاركتهم فى مراسيمهم ومجالسهم تلك(١).

على الرغم من ادعاء الماسونيين أن النبى سليمان بن داود هو الذى

(١) للتفاصيل ينظر، ادم متز، م. س. ذ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

بنى الهيكل المقدس، المعروف بهيكل سليمان، بواسطة المهندس (حيرام الصورى)، وبالتالى فإنه أول ماسونى فى التاريخ.. إلا أن التاريخ الحقيقى للماسونية بدأ بالتشكل من الموروث الكابالى، الذى تم توظيفه أو بعضاً منه فى حكايات ألف ليلة وليلة.. وجاءت الحروب الصليبية التى شاركت فيها جيوش دول غرب أوروبا (إنكلترا - فرنسا - ألمانيا - النمسا - جنوة والبندقية) فحدث الاتصال المعمق بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى، فظهرت بواكير الحركة الماسونية فى إنكلترا على يد أحد المقاتلين المتعصبين الإنكليز، العائدين من إحدى الحملات الصليبية الغازية للمشرق العربى[١]..

وهنا لابد من تثبيت ملاحظتين جديرتين بالإيراد:

١ - أن الأقاليم الأوروبية التى تعرضت مباشرة لتواجد اليهود الكثيف، مثل مناطق شرق أوروبا ووسطها، تعرض اليهود فيها للاضطهاد، إما من قِبل الدولة، أو من قِبل السكان المسيحيين.. وبالتالى فإن التأثير التوراتى فى سكان هذه الأقاليم كان ضعيفاً وأحياناً مرفوضاً، وأدى إلى

(١) بشأن الحملات الصليبية وعددها وقادتها.. ينظر، دار المشرق - المنجد فى الأعلام، ط١٦، بيروت ١٩٨٨، ص ٣٤٨. ومن الجدير ذكره، أن هيكل سليمان، الذى يقع فى بيت المقدس ويسميه اليهود (هابابيت)، وأن طقوس وأجواء الحركة الماسونية والتعميد الماسونى تخضع لكثير من التقاليد الكابالية المستندة إلى قدسية الهيكل الذى بناه المهندس حيرام الصورى.. فمثلاً إن درجات العلم الماسونية تبلغ (٣٣) درجة، والدرجة الأخيرة لاتمنح إلا لليهود، وهذا الرقم يمثل عمر المسيح المنتظر (ابن داود) وليس ابن مريم كما يظن للوهلة الأولى.. والمسيح المنتظر سيسبق ظهوره ألف عام من حكم غير اليهود، وفى آخرة الأيام سيأتى المنقذ (الرؤية الألفية).

استمرار المذابح بين النصارى واليهود، والغلبة كانت للنصارى، مما أدى إلى هجرة اليهود إلى أقاليم جديدة، كما حدث فى بولندا، وقيام مجاميع (الهايد ماك)، بقيادة الفلاح القوزاقى شميلنكى بالتعرض لليهود وبث الرعب بينهم[1].

٢ - أن الأقاليم الأوروبية التى لم تشهد وجوداً يهودياً مباشراً وكثيفاً، مثل مناطق شمال وغرب أوروبا، كانت درجة استجابتها للمؤثرات التوراتية أفضل، مما أدى إلى التمرد والثورة ضد الكنيسة الكاثوليكية، كما حصل فى ألمانيا وبريطانيا، وكان السكان النصارى أكثر ترحيباً بأحفاد (العهد القديم).. وهكذا كانت اللوثرية ذات منطلقات توراتية، كما انفصلت الكنيسة البريطانية على عهد الملك هنرى الثامن عن روما والبابا، واستقلت فيها الكنيسة الإنكليكانية، ومن هذه الأخيرة جاء (البيورتان) أى المتطهرون، الذين هاجروا إلى العالم الجديد ليكوّنوا هناك مذهبهم البروتستانتى الجديد فيما عرف - لاحقاً - بالولايات المتحدة الأمريكية، وليكونوا الأقرب بين مذاهب المسيحية، لليهود ولليهودية، وأكثرها دعماً للمؤسسات الصهيونية والماسونية [2]، بل إن الكثير من الأمريكان - اليوم - يعتبرون تاريخهم القديم يمتد إلى عصر إسرائيل وموسى،

---

(١) للتفاصيل ينظر، عبدالوهاب المسيرى: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٥، ص ٣٧ - ٣٩.

(٢) جمال البدرى: الأحزاب، م. س. ذ، ص ٦٠. وكذلك ينظر، محمد على الزعبى: حقيقة الماسونية، مؤسسة مطابع معتوق إخوان، بيروت ١٩٧٤، ص ٩١.

تعويضاً لهم عن تاريخهم القومى الحديث(*).

بعد هذا الاستعراض المبتسر.. فما هو هذا الكابال الذى انطلقت منه (الماسونية) وتغلغل فى ألف ليلة وليلة..؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ستعطينا الإجابة عن علاقة ألف ليلة وليلة بالماسونية وبالعكس ولو بشكل ضمنى..

نقول، إن التراث اليهودى الباطنى، تراث معقد، تطور عبر التاريخ القديم، ويرى اليهود، أن سفر التكوين هو أول النصوص الكابالية[1].. وأن أول مدرسة كابالية وجدت فى القرن الأول للميلاد، واستمر تطور هذا التراث طوال الألف سنة الأولى من التاريخ المسيحى، دون انقطاع بين اليهود، وكان موضوعه الأساسى - آنذاك - يدور حول (المركباه) أى العرش الإلهى، كما ورد فى سفر حزقيال..

إن كلمة (كابال أو قابال) ذات أصل عبرى، مشتقة من المصدر (قابل) الذى يعنى تلقى أو استقبل.. وعُرف الكاباليون بالقوة والغموض، واشتهروا أنهم «معلمو السر»[2].. وبشكل عام كان الكابال من خلال كتابه المقدس المعروف بـ(الزوهار) أى النور، معروفاً عند اليهود منذ القرن الثانى للميلاد،

(*) للتفاصيل ينظر، إبراهام ليون: المفهوم المادى للمسألة اليهودية، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٣، ص ١٠٢ - ١٠٥.. بشأن تنامى الوجود اليهودى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن التاسع عشر. ونضيف تطور الحال اليوم إلى وجود مايسمى بالصهيونية المسيحية، وهى السوار المحيط باللوبى الصهيونى لدعمه فى كل الاتجاهات.

(١) دافيد باكان، م. س. ذ، ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٦٨ - ٦٩.

وذلك إبان عهد الراب سيمون بن يوشاى فى بابل[1].. وقد قام فى القرن الحادى عشر سيمايون بن يوكيه بتدوين الزوهار وإضافة التعليقات التى استجدت على نصوصه، وبذلك أصبح الزوهار يحتوى على عشرين باباً من غير المقدمة والملحقات.. وهو يضم مقاطع من التوراة مع تفاسير كابالية. وفى العصور الوسطى كان للكابال مركزان أساسيان هما:

١ - بغداد فى العصر العباسى..

٢ - الأندلس فى العهد الإسلامى..

إن أهم محورين فى التراث الكابالى هما:

(أ) المحور العددى (للأرقام).

(ب) المحور الجنسى (للأنوثة).

أما المحور الأول فقد ركز على دلالة ومعانى الأرقام، وخصوصاً الرقم (٧) و (١١) و (١٢) و (٣٢) و (٣٣) و (٤٠) و (٧٧).. لارتباطها بمعطيات مقدسة. وأما المحور الثانى، فهو الأقرب لما جاء فى حكايات ألف ليلة وليلة.

---

(١) أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، المكتب العربى للطباعة والنشر، دمشق ١٩٧٥، ص ٣٠٥. وفى ضوء ذلك نجد أن اليهودية عبر تاريخها قد انقسمت إلى تيارين هما:
.ولاً: التيار التوراتى/ التلمودى/ الحاخامى/ الأرثوذكسى.
الثانى: التيار التوراتى/ الزوهارى/ الكابالى/ الصوفى.

لقد نسب المتصوفة اليهود (الجنسية) إلى الرب نفسه (أو بديله المادى)، فيرى الكابالى فى هذه العلاقات بين الرجل والمرأة تحقيقاً رمزياً للعلاقة بين الرب والشخينياه. ويحتج الكابالى لأن التوراة تستخدم الكلمة المقدسة نفسها للدلالة على المعرفة وعلى العلاقات الجنسية معاً، حيث تعتبر المعرفة ذات طابع شهوانى بحت.. وتصبح الجنسية الزوجية رمز القوة الخلاّقة. وتتماهى الشخينياه، أيضاً مع مجمع (إسرائيل) على أنه زوجة الرب(١). من هنا يرى الكابال، أن الإنسان خُلق «بناء على إلحاح الشخينياه، وهى التى تتحمل عبء خطيئته.. أجابت الشخينياه؛ بما أن الخطيئة تُنسب إلى الأم وليس إلى الأب، فأنا أرغب فى خلقه على صورتى..

وبسبب الظلام المصاحب للخطيئة، ضد النور، لم يشأ الأب المشاركة فى خلق الإنسان، لذا قالت الأم: لنجعل الإنسان على صورتنا»(٢). لذا فإن الأم أو المرأة أو الشخينياه هى الأساس فى انتساب المولود فى اليهودية، فمن كانت أمه يهودية فهو يهودى. يحدد الكابال عشرة (سافيرا)، وهى درجات تمثل ممالك الرب (يهوه).. والجنسية تقع ضمن السافيرا التاسع المسمى (يسود)، وهو يعنى الأساس والسر، بمعنى أن الجنس، الأساس السرى لكل الأشياء.. المنبثقة من المملكة الأرقى. وهكذا فإن (يسود) هو

(١) دافيد باكان، م. س. ذ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٧.

مكان ومنبع كل حياة، ومنه يستمد العالم غذاءه[1]. وهذا هو الملاحظ على نوعية العلاقة بين الملك شهريار وشهرزاد.. شهرزاد فى كل الحكايات هى (الشخينياه) أى الدرجة العاشرة، التى تستمد تكوينها من (يسود) الدرجة التاسعة، وكانت العلاقة مع شهريار الأساس السرى لها.. وبذلك نستطيع الإشارة إلى أن الزوهار والكابالا يدلان بوضوح على تأثر التصوف اليهودى (الباطنى) بالديانة الزرادشتية[2]..

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) مهنا يوسف حداد: الرؤية العربية لليهودية، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨١، ص ١٠٦ ـ ١٠٧، من هنا يخطىء البعض بنسبة تأليف ألف ليلة وليلة إلى الفرس.

الرؤية الألفية فى ألف ليلة وليلة

وقفت طويلاً أمام تسمية (ألف ليلة وليلة) بالعدد (١٠٠١ ليلة)، وكنت على يقين أن هناك سراً فى هذه العددية/ الرقمية، تحملها حكايات الليالى، منذ أكثر من ألف سنة وعام.. صحيح أن طائفة من المختصين بشؤون الأدب، وبدراسات الميثولوچيا.. قد أعلنوا فى الإشارة إلى موضوع هذه التسمية، لكنهم جميعاً وقفوا عند دلالة الرقم (ألف) فى اللغة العربية، وفلسفته، إلا أنهم لم يصلوا إلى محددات دقيقة، وما حققوه من إشاراتهم أنه يمثل عدد الليالى التى روت فيها شهرزاد حكاياتها الألفية لشهريار..

إذا أردنا العودة إلى جذور فكرة العدد ودلالته وجوهره، فيمكننا القول، إن الفيلسوف اليونانى (فيثاغورس) وجد فى العدد جوهر المعدود، وأنه بعد مذاهب طاليس وديموقريطس وهرقليطس وسواهم، أعلن أن الموجودات تتألف من أعداد.. وهكذا فإن العدد من حيث كونه رقماً أو رتبة، فهو (عرض)، أما من حيث تألفه من عناصر أو وحدات تشكل مجموع كيانه، فهو (جوهر)، من هنا تبدأ الفلسفة مرحلة جديدة مهدت لسقراط وأفلاطون وأرسطو، وبذلك اكتسب العدد قيمته فوق ما للحرف والنوطة وسواهما من الرموز..

من جانب آخر علينا ألا ننسى علاقة التواجد اليهودى بعد الأسر البابلى، وقد اشتهر أهلها بالدراسات الفلكية والرياضيات والهندسة.. حتى أصبحت لغة اليهود قائمة على حروف ذات دلالات رقمية ثابتة من (الصفر إلى ٤٠٠)، ولم تكن هذه الأرقام (اللغوية) مجرد صنعة أو فذلكة للخاصة، وإنما تنامت بين اليهود وأنشأت فكراً دينياً فاعلاً هو (الكابالا).. وهذه هى المرة الوحيدة فى التاريخ الإنسانى التى يتم فيها للأرقام إقامة (هيكل فكرى شامل) فيه رؤية للكون والحياة والإنسان.. بعد أن كانت وظيفة الأرقام قاصرة على العلوم المجردة والمعارف الجامدة والعلاقات الرتيبة(١).

وعلى الرغم من كل ذلك لابد لنا أن نعرج على المغزى اللغوى - العربى، لمفردة (ليلة) غير الذى تناولناه فى هامش سابق من المبحث الثالث فى الفصل الثالث من هذه الدراسة.. وسنترك حديث (الألف) قليلاً..

ليلة، مفردة لليالى، والليالى جمع ليل، والليل يُذكّر ويُؤنّث، وأما تصغير ليلة فيكون لليلة وليبلية ولويلية(٢).

بقى أن ندرك السر بالتسمية العددية.. فلها مغزيان:

الأول: فى كونها ألفاً كناية عن التمام..

---

(١) للتفاصيل ينظر، جمال البدرى: هندسة القرآن، منشورات الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٩٢، ص ٦٢ - ٦٤.

(٢) أبو عبدالله بن خالويه: كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب العصرية، القاهرة ١٩٤١، ص ٩٧.

الثانى: فى إضافة ليلة، أو العدد واحد إلى الألف..

ثم لماذا أورد اللفظ (مؤنثاً) فقال (ليلة) بدل ليل أو سمراً وما شاكل ذلك؟ ومايهمنا فى التأنيث ذاته من (الولادة) والتوالد والخصب، وهل التسمية جاءت على لسان شهرزاد.. أم هى من صنع (المؤلف) الذى راعى فى التسمية ناحية الأنوثة؟

من ناحيتنا لو أخذنا (زاوية) أخرى تتعلق بالرقم (١٠٠١) ومضاعفاته المعكوسة نزولاً أى (١٠٠١/ ١٠١/ ١١) لوجدنا فيها مقدمة طبيعية للمغزى أو لبعض منه، على شرط توفر عنصرى الأنوثة والذكورة فى العلاقة الجدلية، فكيف يكون ذلك؟

١ - فى التاريخ القديم، من المعلوم أن ليعقوب الذى هو (إسرائيل) اثنى عشر سبطاً من زوجاته الأربع، ليس فيهم نبى سوى يوسف عليه السلام، فلو استثنيناه، لصار العدد (أحد عشر) وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى أرى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾[1].. فتكون الذكورة والأنوثة حاضرة فى الشمس والقمر[*]..

وضمن نفس الزاوية يدخل الرقم أحد عشر فى السحر اليهودى، وهو ماسجله التاريخ فى حادثة سحر اليهود للنبى محمد ﷺ، وأصل ذلك كما أورده ابن خالويه «أن بنات لبيد بن الأعصم، سحرن النبى ﷺ فجعلن

(١) القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية ٣.

(*) عند الكاباليين يرمز للشخينياه، بالقمر باعتباره إله (الأنوثة).

السحر فى خف طلعة ـ أى فى قشرها ـ تحت راعوفة بئر، وكان السحر وتراً، فيه إحدى عشرة عقدة.. فبينما رسول الله ﷺ، ذات يوم بين النائم واليقظان، إذ أتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، وأشارا إلى مكان السحر.. فانتبه رسول الله ﷺ، فبعث علياً ﵁ وعماراً، فاستخرجا السحر، فجعلا كلما حلا عقدة وتلو آية من قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وهما أحد عشرة آية، على عدد العقد، وجد رسول الله ﷺ خفاً، فلما حُلت العقد وتليت السورتان، قام رسول الله ﷺ كأنه أنشط من عقال، وأمر أن يتعوذا بهما»[1]. وهنا نلاحظ أن الأنوثة موجودة فى بنات لبيد، والذكورة قائمة فى أبيهم ابن الأعصم.

٢ ـ أما المضاعف المعكوس الثانى وهو الرقم (١٠١) فقد وجدنا فى تاريخ اليهود الحديث مايشير إلى دلالته القوية، ورمزيته الحربية الضاربة، وهى (القوات الخاصة) الإسرائيلية، والتى كانت تحمل اسم (القوة ١٠١) وكان قائدها ـ آنذاك ـ الچنرال آريل شارون[2].. أما الذكورة المرافقة لها فهى (شعب إسرائيل) فيما الأنوثة الشخينياه، تجسدت فى (الأرض)، أى ارتس يسرائيل.

٣ ـ وأما العدد الأصلى (١٠٠١)، مقصودنا المرتبط بعنوان الحكايات، فسنتناوله وفق النقاش التاريخى المتسلسل الآتى:

---

(١) ابن خالويه، م. س. ذ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) للتفاصيل ينظر، جمال البدرى: الماشيح الصهيونى، م. س. ذ، الفصل الثالث منه «شارون من الوحدة ١٠١ حتى مفاوضات الكيلو ١٠١».

(أ) فى عهد الخليفة العباسى المتوكل على الله (٨٤٧ ـ ٨٦١ م) بدأت بوادر من التضييق على أهل الذمة، والتمايز ضدهم، وشكل هذا الإجراء بداية النقمة، قياساً إلى العهود السابقة، خصوصاً عهدى هارون الرشيد والمأمون.

(ب) إن الخلفاء الخمسة الذين أعقبوا المتوكل، وهم:

أولاً: المنتصر بن المتوكل (٨٦١ ـ ٨٦٢م) قتله الأتراك..

ثانياً: المستعين ابن أخ المتوكل (٨٦٢ ـ ٨٦٦م) قتله الأتراك..

ثالثا: المعتز بن المتوكل (٨٦٦ ـ ٨٦٩م) قتله الأتراك..

رابعاً: المهتدى ابن أخ المتوكل (٨٦٩ ـ ٨٧٠م) قتله الأتراك..

خامساً: المعتمد بن المتوكل (٨٧٠ ـ ٨٩٢م) توفى مسموماً..

إذن كلهم انتهوا نهاية غير اعتيادية، ولم تستقر عاقبة الخلفاء إلا مع عودة الخلافة من سامراء ـ على يد المعتمد ـ الذى كان بين بين (نصف عهده فى سامراء ونصفه الآخر والأخير فى بغداد)، حتى كان الخليفة المعتضد بن الموفق بن المتوكل، أول خليفة استقر بكامل عهده فى بغداد منذ أيام المأمون بن هارون الرشيد..

(جـ) فى عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م) نلاحظ احتضانه لليهود، مما أتاح لهم السيطرة على عدة وظائف حكومية.. ومن مظاهر هذا التغيير:

١ ـ ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية ـ بشكل كامل ـ لأول مرة

فى التاريخ، على يد الحاخام والفيلسوف سعديا الفيومى (٨٩٢ ـ ٩٤٤م)[١].

٢ ـ اعتماد كبار التجار اليهود كمركز إقراض تعتمده الدولة العباسية، من خلال مكتب عمران اليهودى وولديه فنحاس وهارون، اللذين امتد نفوذهما إلى عهد الخليفة المقتدر بالله (٩٠٨ ـ ٩٢١م) نتيجة علاقتهما القوية مع الوزير (ابن الفرات)، مما حافظ على استمرار مكتب عمران وأولاده بمثابة بنك الدولة الرسمى، دون تأثره بالسياسة[٢].

وفى هذا العهد من الحرية النسبية والعلاقة الحسنة بين الخلافة واليهود، تم وضع الخطوات شبه النهائية فى كتابة ألف ليلة وليلة..

(د) استمر آل المتوكل فى توارث الخلافة على التوالى، فكان منهم بعد المعتضد:

أولاً: المكتفى (٩٠٢ ـ ٩٠٨م)..

ثانياً: المقتدر (٩٠٨ ـ ٩٣٢م)..

ثالثاً: القاهر (٩٣٢ ـ ٩٣٤م)..

رابعاً: الراضى (٩٣٤ ـ ٩٤٠م)..

خامساً: المتقى (٩٤٠ ـ ٩٤٤م)..

---

(١) يذكر ابن النديم، الفهرست، م. س، ذ، ص ٢٢، أن أول ترجمة للتوراة كانت فى زمن الخليفة هارون الرشيد، على يد أحمد بن عبدالله بن سلام (أبوه كان يهودياً ثم أسلم). لكن ترجمة الفيومى هى أول ترجمة قام بها يهودى.. أما التلمود فقد ترجم لأول مرة إلى العربية على يد أبى داود اليهودى فى الأندلس سنة ١١٦١م.

(٢) للتفاصيل، خلدون ناجى معروف: الأقلية اليهودية فى العراق، القاهرة ١٩٧٢، ص١١٣.

سادساً: المستكفى (٩٤٤ ـ ٩٤٦م)..

سابعاً: المطيع (٩٤٦ ـ ٩٧٤م)..

ثامناً: الطائع (٩٧٤ ـ ٩٩١م)..

وهو آخر الخلفاء من آل المتوكل بن الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد. وجاء من بعدهم الخليفة القادر بالله وهو أحد أفراد البيت العباسى، لكنه ليس من نسل الخلفاء المباشرين، وتمت توليته بأمر وقوة بهاء الدولة البويهى الموجود فى بغداد، واستمر أبناء القادر فى تولى الخلافة حتى إسقاطها نهائياً على يد المغول (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) فى عهد المستعصم بالله.

(هـ) فى عهد الخليفة القادر بالله (٩٩١ ـ ١٠٣١م) تم نشر وإذاعة حكايات ألف ليلة وليلة، من خلال مجالس بغداد ونواديها.. لقد حارب القادر بالله اليهود فى كل المجالات، وأغلق المدارس اليهودية ومراكز الفكر والدين الخاصة بهم.. عند ذاك كان رد الفعل الجاهز لليهود، ترويج حكايات الليالى وفق أساليب ذلك العصر.. ثم الانتقال بنشاطهم إلى بلاد الأندلس بشكل نهائى(١).

---

(١) للتفاصيل ينظر، محمد بحر عبدالمجيد: اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٧٠.. من جانب آخر فإن ثمة تبريراً منطقياً ساعد على تفادى حساسية وعلانية انتشار ألف ليلة وليلة بين الناس فى زمن الخليفة القادر، وهو أن هذا الخليفة ليس من سلسلة ونسل الخلفاء السابقين له بشكل مباشر، مما يعنى استساغة تناول حياة اللهو والخلاعة التى وردت فى الليالى على عهود الخلفاء الأولين، خصوصاً وأن الحاكم الفعلى كان ـ آنذاك ـ بنى بويه وهم من الفرس الذين ورد مايشير إلى بعض أمجادهم فى حكايات الليالى.

(و) إن اليهود فى انتقالهم من بلد إلى آخر يحملون معهم (الذهب والكتب)، ولاشك أنهم بهجرتهم من بغداد إلى الأندلس قد حملوا معهم ذهباً، وكتباً، منها التوراة والتلمود وألف ليلة وليلة، بنسخة أو أكثر.. ولأن الأندلس أصبحت أيضاً مركز الكابال اليهودى، كانت الرؤية الألفية المرتبطة بانتظار تحقيق النبوة بظهور الماشيح اليهودى المنتظر.. من هنا فإن ألف ليلة وليلة تعنى (كابالياً) ألف سنة، وإضافة (ليلة) بمعنى (سنة) لمعادلة الفرق مع التقويم العبرى.. وإذا كانت ليلة القدر عند المسلمين خير من (ألف شهر) فلماذا لاتكون (الليلة) التوراتية خير من (ألف عام)؟. ونزيد القول إن فى العنوان أيضاً معادلة تتعلق (بشعب الله المختار)، فكأن ألف ليلة غير يهودية تعادلها ليلة يهودية واحدة.. وإذا أردنا توخى الدقة المباشرة، فكأن شهريار (الرب ـ الملك) جرب ألف امرأة أو (أمة) فوجدها خائنة لا تستحق أن تحمل (الرسالة) والعهد المقدس.. فجاءت المرأة أو الأمة/ الشخينياه/ إسرائيل، متجسدة بامرأة لتحافظ على هذه الأمانة وتصون العهد المقدس مع الرب، فحافظ الرب على وجودها.. لقد ختمت شهرزاد حكايات الليالى الألف، ولم تنته إلا على يديها مما يوحى أن (فجر وسبت التاريخ) سيبقى بيد يهودية.. فسكتت شهرزاد عن الكلام المباح، لتعمل ألف سنة وعام بصمت دون صياح.. من المساء إلى الصباح.

الليـــالى فى أمريـــكا

يخطىء من يظن أن النفوذ اليهودى فى أمريكا، تكوّن على إثر انتقال مركز الحركة الصهيونية من لندن إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى.. إن هذا النفوذ مرتبط بالوجود اليهودى الأول المرافق للهجرات البيورتانية الأولى التى وصلت واستقرت فى مناطق الساحل الشرقى (نيو إنكلند)، للعالم الجديد لما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية.

قلنا فى هامش سابق، إن ثمة قاسماً مشتركاً مابين اليهودية والحركات الإصلاحية ـ المسيحية (اللوثرية والكالفانية والكنيسة الإنكيلكانية)، فهذه الفرق الجديدة المنشقة عن الكاثوليكية، انطلقت من أساسين:

١ ـ التراث العبرى كما ورد فى الكتاب المقدس، خصوصاً فى العهد القديم (التوراة).

٢ ـ تراكمات الواقع المسيحى ـ الكاثوليكى، كما مثلته الكنيسة البابوية آنذاك.

من هنا رأت هذه الفرق والحركات الإصلاحية المسيحية، فى اليهودية

(الأصل) الذى اعتمدته فى الانشقاق عن سلطان الكنيسة البابوية ـ الكاثوليكية، لأن العهد القديم هو النبع الذى استقى منه جميع المسيحيين، وليس من حق البابوية احتكاره لوحدها.. ولاشك أن وراء كراهية اليهود للكنيسة الكاثوليكية ـ بالمقابل ـ سبباً اقتصادياً يتعلق بالصراع الذى حصل جراء الحروب الصليبية، وتعرض مركز ودور اليهود التجارى إلى التهميش، وقد بدأ فك احتكار اليهود للتجارة الدولية مع الحروب الصليبية، والاستيلاء على بيت المقدس، وبالتالى على خطوط التجارة.. ولم يأت القرن الحادى عشر إلا وقد قضى على احتكار اليهود للتجارة الدولية، وبحلول القرن الثانى عشر أضحى الجزء الأكبر من التجارة اليهودية، تجارة محلية، واقتحم التجار المسيحيون مجال التجارة الدولية، بل قاموا بتنظيم أنفسهم على شكل نقابات دينية مسيحية لايمكن لليهود الانتماء إليها..»(١)، وهذا من بين أسباب أخرى دفعت باليهود إلى تأييد الحركات الإصلاحية البروتستانتية، المضادة للكنيسة الكاثوليكية..

كانت أوروبا ـ عصر النهضة ـ ماتزال تحت تأثير سلطان البابوية، حتى فى الدول القومية التى أعلنت تأييدها لهذه الحركات.. مما عجل من الهجرة البيورتانية خصوصاً مع بريطانيا.. إلى العالم الجديد، فمازالت أوروبا تتعرض لذيول ماسمى بمحاكم التفتيش ولو بشكل غير مباشر.. ولأن انتقام

---

(١) للتفاصيل ينظر، عبدالوهاب المسيرى: الأيدولوجية، م. س. ذ، ص ٢١ ـ ٢٢.
وكذلك Cecil Roths Ahistory of the Jews from Earliest times through the day war, New York; Schocken book, 1970, P. 191.

البابوية انصب على جميع المعارضين والمشبوهين بموجب قياساتها للهرطقة والخروج عن الكاثوليكية فإن البروتستانت واليهود كانوا الأكثر ضرراً من غيرهم، مما جعلهم معاً يرحلون إلى العالم الجديد، بكل ما يعنيه هذا العالم من حرية وأمان واستقرار...

وكعادتهم فى معظم المجتمعات.. انفرد اليهود بإدارة النظام المالى، والصيرفة وإنشاء البنوك فى المجتمع الجديد.. ومع تنامى واتساع دوائر المدنية الجديدة كان المال اليهودى يزداد اتساعاً وتأثيراً وسلطة على الأفراد والدولة.. فما علاقة ذلك بألف ليلة وليلة؟(١).

الولايات المتحدة الأمريكية، كما ظهرت بعد الاستقلال عن الإمبراطورية البريطانية، عام ١٧٧٦م.. وانتهاء الحرب الأهلية فيها بتوحيد الولايات الشمالية والجنوبية، أصبحت هى القلب من العالم الجديد..

١ ـ مساحة واسعة مابين محيطين:

الأول: المحيط الأطلسى..

الثانى: المحيط الهادى..

٢ ـ ومابين مناخين متناقضين/ متكاملين:

الأول: المتجمد وشبه المتجمد..

الثانى: الدافىء ـ الاستوائى..

(١) «وكانت الليالى سبباً فى عناية الأوروبيين بآدابهم الشعبية، بل أذهب إلى أبعد من هذا، أنها كانت عاملاً من عوامل الثورة الفرنسية»، صفاء خلوصى: الأدب المقارن فى ألف ليلة وليلة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٩.

٣ ـ ومابين عالمين سابقين:

الأول: القديم فى آسيا وأفريقيا..

الثانى: الوسيط فى أوروبا..

٤ ـ ومابين نظامين اقتصاديين:

الأول: الإقطاعى المتخلف فى معظم أقاليم العالم القديم، خارج أوروبا..

الثانى: الرأسمالى التقليدى، شبه الصناعى، للاستعمار الأوروبى..

٥ ـ ومابين فلسفتين متنازعتين:

الأولى: المتأثرة بالفلسفة الأوروبية التقليدية (الأنكلوسكسونية)..

الثانية: الفلسفة المحلية البراغماتية ـ النفعية ذات رؤية جديدة.

ووسط هذه (الثنائية) تولدت فكرة الفردوس الأمريكى الجديد، المطعم بنكهة التوراة ـ التلمود والإنجيل وألف ليلة وليلة.. فما هو هذا الفردوس الجديد؟

بطبيعة الحال، إن الإنسان ـ عموماً ـ وجود متوازن، جسد وروح..

(أ) الجسد هو الفردوس الأرضى ـ المادى..

(ب) الروح هو التاريخ الفكرى ـ السامى..

ومن جدلية (الفردوس والتاريخ) أو (الجسد والروح) أو (المادة والفكر) أو (النسبى والمطلق).. تكون حضارة الإنسان الصحيحة..

أما الديانة اليهودية، فهى ذات نزعة (حلولية) تميل فيها إلى الجسد/ المادة/ النسبى، أكثر مما تميل بها إلى الروح/ الفكر/ المطلق.. لأن أساسيات (البراغماتية ـ النفعية) تؤكد على الطابع المتجسد استهلاكياً فى (الفردوس الأرضى)، لارتباط ذلك بالعمق العقائدى القائم على (آخرة الأيام والرؤية الألفية) أكثر من الإيمان بعقيدة البعث والعالم الآخر.. التى تتقاطع معها اليهودية.. وهو نفس الميل للإنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية.. هو يهرب من التاريخ ليعيش فى الفردوس(١)، على الرغم من أن الحضارة الأمريكية لايزيد عمرها على قرنين، بينما (اليهودية) تنتمى إلى عشرات القرون من العمق التاريخى، لكن كلاهما ـ من خلال التجربة الأمريكية ـ يرفضان التاريخ، ويحولانه إلى مفهوم أسطورى مبسط:

١ ـ الأمريكان هم سلالة البيورتان أى البروتستانت المتطهرون الرافضون للمظهرية الكاثوليكية المليئة بالزخارف والتماثيل، ويطالبون بالعودة إلى البساطة والبراءة الأولى كما كانت فى العهد القديم والجديد(٢).

٢ ـ واليهود رافضون لتاريخهم بعيداً عن أورشليم، لأن وجودهم مع الآخرير ظاهرة مرفوضة ـ مؤقتة.. لذا فهم أيضاً يريدون العودة إلى (البساط الأولى)..

---

(١) للتفاصيل ينظر، عبدالوهاب المسيرى. الفردوس الأرضى ـ دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص١١ـ ١٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٧.

الأمريكان - البيورتان - البروتستانت، يرون حياتهم السعيدة فى الفردوس الأرضى، المتحقق من الفعل الحضارى - الصناعى - العسكرى..
واليهود - بكل تسمياتهم، يرون حياتهم السعيدة فى الفردوس الإسرائيلى الجديد، المسيطر على وجدان الفرد اليهودى المقيم بعيداً عن أورشليم (المقدسة)...

وهذا من بين أهم الأسباب التى تفسر نظرة الكثير من يهود العالم، خصوصاً فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل «إنها كيان ميتافزيقى، يحقق نبؤات العهد القديم»[1].

ومن نقاط تشابه وجهتى النظر الأمريكية - اليهودية، فى تحقيق هذا التقارب:

(أ) إن مؤسسى الجمهورية الأمريكية، بعد إعلان الاستقلال عن بريطانيا، قد، «فكروا فى جعل اللغة العبرية، لغة الدولة الرسمية، باعتبار أن الجمهورية الوليدة هى صهيون الجديدة»[2].

(ب) إن الأمريكان الأوائل كانوا يريدون إنشاء (صهيون جديدة) أو ماسمى - أنذاك - بـ(مدينة على التل) لتنظر إليها كل الأمم، وتحاكى أفعالها، ولذا يعم الخير، ويأتى (الخلاص)..

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢١. للتفاصيل ينظر، فاخر عبدالرزاق: ألف ليلة وليلة فى أمريكا - استطلاع عام، مجلة آفاق عربية، العدد الثالث، (خاص عن الاستشراق)، بغداد ١٩٨٩، ص ٢٧ - ٤٢.

(جـ) بسبب رفضها للتاريخ، فبركت الولايات المتحدة الأمريكية، أسطورة السوبرمان، أو (آدم الديمقراطى الجديد)، الذى يأتى إلى الأرض أو الجنة العذراء، ليقيم فيها ويستلهم كل مافى التراث العالمى من إيجابيات، وينفتح على كل الحضارات.

(د) واليهود أنشأوا أسطورة (اليهودى الخالص) أو النقى.

(هـ) هناك تشابه آخر هو ظهور (الكاوبوى الأمريكى) مقابل شخصية (الحالوتس)، أو الرائد اليهودى المسلح، كلاهما مؤمنان بالفلسفة البراجماتية ـ الذرائعية، التى تميل إلى الفعل المحقق للنجاح، بغض النظر عن الوسائل والأساليب المتبعة، لتحقيق هذا النجاح.. ولو تعمقنا فى هذه الفلسفة لتحديد أساسها، لوجدناه أساساً (اقتصادياً) فيه شخصية التاجر.. فالحالوتس اليهودى أو الرائد هو التاجر المغامر الذى يتاجر بكل شىء، ويخاطر بكل شىء، حتى بحياته، (الكاوبوى) مثلما كان (السندباد) التاجر المغامر، فى ألف ليلة وليلة، يفعل ذلك..

على الرغم من التبلور التقنى والحضارى العلمى الهائل ـ اليوم ـ فى الولايات المتحدة الأمريكية، فإن مظاهر السحر والأسطورة تنتشر فيها بشكل يفوق غيرها من الدول والمدنيات الحديثة.. فدكاكين السحر والشعوذة وقراءة الكف والتنبؤ والتنجيم.. لاتقل عدداً عن المدارس والكليات فيها.. خصوصاً فى (نيويورك)، كما أن مظاهر التعوذ من الأرقام والأيام المشؤومة تكاد تكون مسيطرة على العقلية الشعبية للأمريكان.. وباختصار فإن

(الإسرائيليات)، التى تم استعراض خطوطها العريضة فى هذه الدراسة عن ألف ليلة وليلة، نراها مجسدة بوضوح تام فى الحياة الاجتماعية الأمريكية المعاصرة.. ومما يؤيد هذه الإشارة أن اليهود عبر مؤسسات وجمعيات مختلفة.. من وراء هذا الانتشار السحرى.. بما فيه إصدار المجلات المتخصصة، والأفلام والكتب والنشرات..

فهل انتقلت (ألف ليلة وليلة) مع هجرة أول مجموعة يهودية، عبرت المحيط الأطلسى إلى العالم الجديد، على أثر طرد اليهود من أسبانيا، أم تلك التى هاجرت مع البيورتان من بريطانيا؟.. فأرادت نفس العقلية اليهودية التى كتبت ألف ليلة وليلة، تحقيق النبوءات الكابالية فى أرض جديدة مناسبة بعد أن فشلت بذلك إبان العهود العباسية والأندلسية؟، وهل ستكون ألف ليلة وليلة ـ كما أرادتها شهرزاد ـ بداية للأمل والمستقبل الفردوسى، أم ستكون (نهاية التاريخ) كما طرحها فوكى ياما؟..

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح، وغير المباح.

الخاتمـــــة

النبـــــــوة

تأسيساً على كل ماسبق، فإن خاتمة هذه الدراسة تتلخص فى الآتى:

١ - أن العمل الفكرى والعقائدى للديانة اليهودية من بعد النبى موسى ﷺ، إنما جاء من مؤثرات وأجواء ومفردات بابلية عراقية قديمة..

٢ - أن التوراة الحالية هى توراة بابلية، وليست التوراة المنزلة على النبى موسى ﷺ.. لما بين مفردات وتقاليد الحياة العراقية القديمة والتوراة.. من أوجه شبه كبير ومشترك.. أما التلمود، فهو بابلى بكامله.

٣ - أن ألف ليلة وليلة، تم تأليفها فى نفس بيئة تأليف التوراة والتلمود البابليين، ووفق طريقتهما (المرحلية).. فقد تم وضع أسس وأغراض وأسرار ألف ليلة وليلة إبان عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢هـ - ٨٤٧ م)، وتمت عملية كتابتها بشكلها الأولى من قبل سنهدرين اليهود تحت إشراف رأس الجالوت وبمساعدة الحاخام المصرى سعديا الفيومى المقيم فى مدرسة سورا بالكوفة، وذلك فى عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩هـ - ٨٩٢ م)، فيما تمت عملية نشرها وإذاعتها فى مجالس بغداد، فى عهد

الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ - ٩٩١م)...

٤ - أن المادة المستمدة منها حكايات ألف ليلة وليلة، هى جميع نتاجات الفكر والثقافة والمعرفة، الموجودة فى ذلك الوقت، خصوصاً منه النتاج العربى - الإسلامى.

٥ - أن ثمة هدفية سياسية - دينية - نفسية، تقف من وراء التأليف، باتجاهين:

الأول: التخفيف من العداء ضد اليهود من قِبل الأوساط غير اليهودية، «ثقافياً».

الثانى: كسب المعتدلين من مختلف الفئات والطبقات والمستويات لتقبل المقولات اليهودية، وبالتالى تقبل الفكر والسلوك اليهودى، «ضمنياً»..

٦ - أن عالم ألف ليلة وليلة مزيج من الحقيقة والأسطورة.. واليهود يسعون إلى تجسيده فى أية بيئة ملائمة لهم عبر العصور.. لأنه تلخيص لمعظم التراث المكتوب والشفهى للفكر اليهودى (التلمودى والكابالى).

***

وأخيراً، هل حققت ألف ليلة وليلة (نبوءة) التوراة والتلمود والزوهار، فى صياغة عالم يجمع بين التاريخ والفردوس، الواقع والأسطورة، ويمثل (البشارة) بعد (الشتات)؟.. وهل حفظت ألف ليلة وليلة (إسرائيل) بعد سقوط هيكل سليمان فى (خاتم سليمان)؟ وهل (العفريت) مازال ينتظر الأوامر ليقول: (شبيك لبيك أنا عبد بين يديك، اطلب واتمنى ياموﻻى..)؟

إن ألف ليلة وليلة، فى الألف سنة الأخيرة من التاريخ العربى - الإسلامى، كانت (أفيون الشرق) الثقافى والفكرى والسلوكى، الذى استنشقه (الخاصة) ليعم مفعوله بين جميع العامة.. وإن استمرار تأثيرات (ألف ليلة وليلة) يعنى استمرار سيادة (الميثولوچيا) على عموم الشرق، بكل مظاهر التخلف التى تؤدى إليها سياسياً واجتماعياً ونفسياً وثقافياً، وفى النسق القيمى الدينى للإسلام.. وفى تشويه صورة الشخصية العربية - الإسلامية لدى الرأى العام العالمى، إعلامياً ونفسياً..

المراجع والمصادر

أولاً ـ المراجـــــــع :

١ ـ الكتب الدينية: التوراة ـ التلمود ـ الزوهار ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا المازندرانى، طبعة طهران، (بلا).

٣ ـ أبو عبدالله الخوارزمى: مفاتيح العلوم ـ طبعة ليدن، هولندا ١٨٩٥.

٤ ـ أبو يوسف القاضى: كتاب الخراج، طبعة بولاق، مصر ١٨٨١.

٥ ـ الأب الصالحانى: ألف ليلة وليلة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٨٨٩.

٦ ـ أبو عبدالله بن خالويه: كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤١.

٧ ـ ابن هشام: سيرة ابن هشام، تهذيب عبدالسلام هارون، ط٥، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٧٧.

٨ ـ أبو القاسم بن خرداذبة: المسالك والممالك، منشورات دى خوى، ليدن، هولندا ١٨٨٩.

٩ ـ أبو الحسن على بن الحسين المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، تحقيق محمد محيى الدين، القاهرة ١٩٦٦.
١٠ـ البيرونى: الآثار الباقية من القرون الخالية، ط ليبزك، ألمانى ١٩٣٣.
١١ـ بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين فى القرن الثانى عشر، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد ١٩٤٥.
١٢ـ حمزة بن الحسن الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ط جوتفالد، (بلا).
١٣ـ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، طبعة القاهرة، (بلا).
١٤ـ يحيى بن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، طبعة ليدن، هولندا ١٨٩٨.
١٥ـ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣ وج٤، طبعة القاهرة، (بلا).
١٦ـ السيوطى: حسن المحاضرة..، ج٢، طبعة بولاق، القاهرة، (بلا).
١٧ـ المقريزى: الخطط..، ج٢، طبعة بولاق، القاهرة، (بلا).
١٨ـ القزوينى: آثار البلاد، طبعة فوتنجن، ألمانيا ١٨٤٨.
١٩ـ (ألف ليلة وليلة) الطبعة المصورة عن طبعة بولاق الحجرية لسنة ١٢٥٢هـ، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد، المرحوم قاسم محمد الرجب (مجلدان).
٢٠ـ الزعبى، محمد على: حقيقة الماسونية، مؤسسة معتوق إخوان، بيروت ١٩٧٤.

ثانياً ـ المصـــــادر:

١ ـ إبراهيم ليون: المفهوم المادى للمسألة اليهودية، دار الطليعة، ط٢، بيروت ١٩٧٣.

٢ ـ أحمد شلبى: مقارنة الأديان (اليهودية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦.

٣ ـ أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٢، وكذلك طبعة دمشق ١٩٧٥.

٤ ـ أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط١، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد ١٩٧٨.

٥ ـ أحمد محمد الشحاذ: الملامح السياسية فى حكايات ألف ليلة وليلة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٧.

٦ ـ أندريه نيهر: جوهر التنبؤية، منشورات كالمان ـ ليفى، باريس ١٩٧٢.

٧ ـ آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، م١، ط٤، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧.

٨ ـ إيان لوستك: الأصولية اليهودية فى إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٩١.

٩ ـ الآباء اليسوعيين: قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الجديدة، بيروت ١٩٧١.

١٠ـ أى، ليتمان: ألف ليلة وليلة ـ دراسة وتحليل، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت ١٩٨٢.

١١ـ برنار لازار: معاناة السامية والثورة، باريس ١٨٩٥ (مقتطفات مترجمة، لروجيه غارودى).

١٢ـ جمال البدرى: الأحزاب الدينية الإسرائيلية ـ الجذور التاريخية ـ النشأة ـ التطور ـ الوظيفة، رسالة ماجستير، بغداد ١٩٩٦.

١٣ـ جمال البدرى: هندسة القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٩٢.

١٤ـ جمال البدرى: النبى إبراهيم خارج المنظور الصهيونى، الدار العربية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٩، وتم تغيير عنوان هذا الكتاب فى طبعته الثانية إلى «النبى إبراهيم والشرعية السياسية»، ط مصر ١٩٩٩.

١٥ـ جمال البدرى: الماشيح الصهيونى ـ دراسة فى القيادة الإسرائيلية، غير منشور، بغداد، (بلا).

١٦ـ جمال البدرى: الأماكن الدينية اليهودية فى العراق، غير منشور، بغداد، (بلا).

١٧ـ چيمس فريزر: الفلكلور فى العهد القديم، ج١، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٨١.

١٨ـ جيرشوم شوليم: التيارات الكبرى فى التصوف اليهودى، منشورات بايو، باريس ١٩٧٧.

١٩ـ جواد على: المفصل فى تاريخ العرب، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.

٢٠ـ جيرالد دى غورى: ثلاثة ملوك فى بغداد، ط٢، ترجمة سليم طه التكريتى، منشورات مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٩٠.

٢١ـ ديورانت، ول: قصة الحضارة، ج٣/م٤، ترجمة محمد بدران، ط١، القاهرة ١٩٥٧.

٢٢ـ ديفيد لاندو: الأصولية اليهودية ـ العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبدالكريم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٤.

٢٣ـ دافيد باكان: فرويد والتراث الصوفى اليهودى، ترجمة دلال عتريسى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨.

٢٤ـ دار المشرق: المنجد فى الأعلام، ط١٦، بيروت ١٩٨٨.

٢٥ـ دار الكتاب المقدس: كتاب العهد القديم والجديد، القاهرة ١٩٨٢.

٢٦ـ دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط: ٣٦٥ قصة من الكتاب المقدس، بيروت ١٩٩٥.

٢٧ـ حسين فوزى: حديث السندباد القديم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٣.

٢٨ـ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ـ أطواره، ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١.

٢٩ـ طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الثانى، بغداد ١٩٥٥.

٣٠ـ ياسين النصير: تحولات المكان فى سفرات السندباد السبع، مجلة التراث الشعبى، العدد الأول، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٩٣.

٣١ـ يوسف غنيمة: نزهة المشتاق فى تاريخ يهود بغداد، مطبعة الفرات، ١٩٢٤.

٣٢ـ كمال صليبيا: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ط٣، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٦.

٣٣ـ كاثلين كينيون: الكتاب المقدس والتنقيبات الآثارية، لندن ١٩٨٦، (مقتطفات مترجمة).
٣٤ـ ليدى دراور: فى بلاد الرافدين، ترجمة فؤاد جميل، بغداد ١٩٦١.
٣٥ـ محمود طرشونة: مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة، ط٢، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨.
٣٦ـ محمود الشرقاوى: التفسير الدينى للتاريخ، دار الشعب، القاهرة، (بلا).
٣٧ـ مهنا يوسف حداد: الرؤية العربية لليهودية، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٩.
٣٨ـ محمد بحر عبدالمجيد، اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٧٠.
٣٩ـ نديم عيسى: الأصولية اليهودية فى الكيان الإسرائيلى، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ١٩٩٥.
٤٠ـ سهير القلماوى: كتاب ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩.
٤١ـ سيد مظفر الدين نادنى: التاريخ الجغرافى للقرآن، ترجمة عبدالشافى غنيم، لجنة البيان العربى، القاهرة ١٩٥٦.
٤٢ـ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، منشورات كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٩.
٤٣ـ سليمان مظهر: قصة الديانات، ط١، منشورات الوطن العربى، بيروت ١٩٨٤.

٤٤- على شلق: ألف ليلة وليلة (الأرقام)، مجلة المورد، العدد الرابع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٩.
٤٥- عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ط دار الهلال، القاهرة، (بلا).
٤٦- عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية - رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥.
٤٧- عبدالوهاب المسيرى: الأيديولوچية الصهيونية - دراسة فى علم اجتماع المعرفة، ج١، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢.
٤٨- عبدالوهاب المسيرى: الفردوس الأرضى - دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩.
٤٩- عبدالوهاب المسيرى: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٥.
٥٠- عبدالمحسن الخشاب: تاريخ اليهود القديم بمصر، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٩.
٥١- على الشوك: الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، شركة بابل للنشر، الرباط، المغرب ١٩٨٩.
٥٢- عبدالغنى الملاح: رحلة فى ألف ليلة وليلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١.
٥٣- عز الدين غريبة: فلسطين - تاريخها وحضارتها، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨١.

٥٤ـ فؤاد محمد شبل: توينبى مبتدع المنهج التاريخى الحديث، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧٥.
٥٥ـ فاخر عبدالزراق: ألف ليلة وليلة فى أمريكا، مجلة آفاق عربية، عدد خاص عن الاستشراق، العدد الثالث، بغداد ١٩٨٩.
٥٦ـ صفاء خلوصى: الأدب المقارن فى ألف ليلة وليلة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦.
٥٧ـ صلاح عبدالفتاح الخالدى: الشخصية اليهودية من خلال القرآن ـ تاريخ/سمات/مصير، ط١، دار القلم، دمشق ١٩٨٧.
٥٨ـ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٠.
٥٩ـ روجيه غارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مكتب الغد العربى، القاهرة ١٩٩٦.
٦٠ـ توينبى: تاريخ البشرية، ج١، الأهلية للنشر والتوزيع، ترجمة نقولا زيادة، بيروت ١٩٨١.
٦١ـ خلدون ناجى معروف: الأقلية اليهودية فى العراق ـ ١٩٢١/١٩٥٢، القاهرة ١٩٧٢.
٦٢ـ خليل أحمد خليل: تطور الأسطورة فى الفكر العربى، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠.
٦٣ـ غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٠(*).

(*) فى معظم المراجع والمصادر راعينا (شهرة) الاسم على الترتيب الأكاديمى.

ثالثاً ـ المصادر باللغة الإنكليزية:

1. C. Danby: The Babylonian Talmud, London, 1935.
2. Cecil Roth: Ahistory of the Jews from Earliest Times, Throught the Day war, New York, Schocker Book, 1970.
3. H. Gunkel: Israel and Babylon the Influence of Babylon on the Religion of Israel, Philadelphia, 1904.
4. J. Neusmer: History of the Jews in Babylonia, Vol. 1, The parthian period, Leideh, 1965.
5. J. Pritchard, Archaeology and the old testamen Princeton, 1958.
6. Lady Magnus: Outline of Jewish histrory from B.C. 586 to C.E. 1885, London, 1924.
7. S. Daiches: The Jews in BBabylonia in the time on Ezre and Nehemiah according to Babylonian - Inscritions, Lodond, 1910.
8. Schweitzer, Fredrick M.: A history of the Jews since the first century A.D., New York, MacMillan, 1971.
9. W. Keller: The Bible as history, archaeology conferms the books, London, 1958.

المحتويات

المؤلف في سطور

- من مواليد محافظة صلاح الدين «سامراء ١٩٥٧» فى العراق.
- خريج جامعة بغداد «١٩٨٠».
- اختص فى الماچستير بالتاريخ السياسى الحديث فى موضوع «الأحزاب الدينية الإسرائيلية».

واختص فى الدكتوراه بالتاريخ السياسى المعاصر فى موضوع «الأحزاب الدينية المصرية».

- عضو اتحاد الأدباء والكُتّاب والمؤرخين العرب.
- عمل ملحقاً ثقافياً فى المملكة المغربية.
- حالياً الملحق الثقافى فى جمهورية مصر العربية.

أهم مؤلفات الكاتب

١ . الثورة والسياسة الدولية.

٢ . الخليج العربى فى المنظور القومى.

٣ . هندسة القرآن.

٤ . النبى محمد . رؤية معاصرة.

٥ . اليهود وألف ليلة وليلة.

٦ . النبى إبراهيم والشرعية السياسية.

٧ . ستون دقيقة مع الرئيس صدام حسين.

٨ . الدين الرابع.. رؤية فى الشيعة والتشيع.

٩ . عدة روايات سياسية أهمها:

- رجال الظل.
- قبل رحيل الشاهد.
- هارون الرشيد فى ليلة.
- النبـــــوة.
- الحناء والقمر.

The Jews and "One Thousand Nights and One Night"

Table of Contents:

The Jews
and
One Thousand Nights and One Night

A Comparative analytical critical study

Author
Dr. Jamal Al-Badri

Cairo - 2000

١٧٠

The Jews
and
One Thousand Nights and One Night

A Comparative analytical critical study

Author
Dr. Jamal Al-Badri

Cairo - 2000